﴿ الجزء الثاني عشر ﴾ ﴿ المجلد الثالث عشر ﴾

بشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه · اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كنار الطريق

﴿ الاحد ٣٠ ذي الحجة ١٣٢٨ ــ ١ يناير (كانون الثاني) ١٢٨٩هـ ١٩١١ م ﴾



فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متاخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا . ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ افتراق الامة الاسلامية والفرقة الناجية ﴾

(س ٥٥) من صاحب الامضاء الرمزي في (شانكين ــ سومطرا)

سلام الله عليكم · والرجاء من سيادتكم إيضاح ما ابهم ولكم من الله الاجر يزعم بعضهم ان افتراق الامة الى شيع أمر لازب اخبر به النبي صلى الله

عليه وآله وسلم . في حديث « ستفترق امتي الى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار لا فرقة » رواه الطبراني ..

و بناء عليه فلا مطمع في توحيد كلمتهم و إصلاحهم بل لا يزالون مختلفين . وقد سألناهم عن الفرقة الناجية فقالوا هي المتبعة لمذاهب الائمة الاربعة المشهورة . فمن عاد عن أحد هذه المذاهب فهو ولا شك (بزعمهم) في الدنيا من المغبونين وفي الآخرة من المخذولين . (هذا ما تقوله حماة التقليد والاقرب انه آخر سهم في الكنانة)

فما قولكم سيدي في الحديث . هل هو صحيح متواتر أم مطعون في الزيادة الاخيرة كما اشار اليها الاستاذ الحكيم السيد أبو بكر بن شهاب من أبيات نشرت في الم ـ ٧ ـ ص٤٢٦ من المنار وهي .

وحديث تفترق النصارى واليهو د وأمتي فرقا روى الطبراني
لكن زيادة كلها في النار الا فرقة لم تخل عن طعان
فتفضلوا علينا بالبيان الشافي المعهود من حضرتكم لازلتم خير خلف لخير سلف

ح . م . في ـ شانكين ـ (سمترا)

(ج)أما افتراق الامة الاسلامية فهو واقع بالفعل ولكن لايوجد دليل من القرآن ولا من الحديث يدل على اليأس من اتفاقهم في الامور العامة والاخوة الاسلامية والتعاون على مقاومة من يعاديهم كلهم وعلى ماينفعهم كلهم وان ظلوا مختلفين في كثير من المسائل بأن يكونوا في اختلافهم على هدي السلف الصالح في عذر بعضهم لبعض واتقاء التكفير والعدوان

وأما الحديث الوارد في الافتراق فقد رواه غير واحد من الحفاظ منهم أحمد وابو داود والترمذي وهو في الجامع الصغير بلفظ «افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين » رواه احمد عن ابي هريرة . أقول ورواه الترمذي عنه بلفظ « تفرقت » ثم قال : في الباب عن سعيد وعبدالله بن عمرو وعوف بن مالك حديث حسن صحيح . حدثنا محمود بن غيلان حدثنا أبو داود الجفري عن سفيان عن عبد الرحمن بن زياد

الافريقي عن عبد الله بن يزيد عن عبدالله بن عمر قال قال رسول الله (ص) « ليأتين على أمتي ماأتى على بني اسرائيل حذو النعل بالنعل - الى أن قال (ص) - وان بني اسرائيل تفرقت على اثنتين وسبعين ملة كلهم في النار الا ملة واحدة » قالوا من هي يارسول الله ؟ قال « ماأنا عليه وأصحابي » هذا حديث حسن غريب مفسر لانعرفه مثل هذا الا من هذا الوجه اه كلام الترمذي فهذه الرواية التي تعين الفرقة الناجية بشيء من القوة في إسنادها عبد الرحمن بن زياد الافريقي روايها وهو قاضي افريقية قال فيه الامام احمد ليس بشيء نحن لا نروي عنه شيئا وقال النسائي ضعيف في الثقات . وقال بعضهم لابأس به وقال ابن حبان انه يروي الموضوعات عن الثقات ولما نقل الذهبي عنه هذا القول قرنه بقوله «فأسرف» . وروي بأسانيد أضعف من هذه وأوهى فالرواية اذا لم تخل من طعن فيها

ورواه الحاكم في صحيحه وما انفرد الحاكم بتصحيحه لا يسلم من مقال أيضا ولكن قال في المقاصد ان الحديث حسن صحيح يعني بزيادة كلهم في النار الا فرقة واحدة

وروي بلفظ كلهم في الجنة الا فرقة واحدة . فسئل عنها فقال الزنادقة والقدرية . رواه العقيلي والدارقطني وهو موضوع وضعه ابن الاشرس وفي شرح عقيدة السفاريني مانصه : ذكر أبو حامد الغزالي في كتاب التفرقة بين الاسلام والزندقة ان النبي (ص) قال « ستفترق أمتي نيفا وسبعين فرقة كلهم في الجنة الا الزنادقة وهي فرقة (؟) » هذا لفظ الحديث في بعض الروايات قال وظاهر الحديث يدل على انه أراد الزنادقة من أمته إذ قال « ستفترق أمتي » ومن لم يعترف بنبوته فليس من أمته ، والذين ينكرون المعاد والصانع فليسوا معترفين بنبوته إذ يزعمون ان الموت عدم محض وان العالم كذلك لم يزل موجودا بنفسه من غير صانع ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر وينسبون الانبياء الى التلبيس فلا يمكن نسبتهم الى الامة انتهى

« قال شيخ الاسلام ابن تيمية في الاسكندرية اما هذا الحديث فلا أصل له بل هو موضوع كذب باتفاق أهل الحديث المعروفين بهذا اللفظ بل الذي في كتب السنن والمسانيد عن النبي (ص) من وجوه إنه قال « ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة واحدة في الجنة وثنتان وسبعون في النار » وروي عنه انه قال

« هي الجماعة » وفي حديث آخر « هي من كان على مثل ما أنا اليوم عليه وأصحابي» وضعفه ابن حزم لكن رواه الحاكم في صحيحه وقد رواه ابو داود والترمذي وغيرهم. قال : وأيضا لفظ الزندقة لا يوجد في كلام النبي صلى الله عليه وسلم كما لا يوجد في القرآن . وأما الزنديق الذي تكلم الفقهاء في توبته قبولا وردا فالمراد به عندهم المنافق الذي يظهر الايمان ويبطن الكفر اه

« (قلت) وقد ذكر الحديث الذي ذكره الغزالي الحافظ ابن الجوزي في الموضوعات وذكر انه روي من حديث أنس ولفظه « تفترق أمتي على سبعين أو احدى وسبعين فرقة كلهم في الجنة الا فرقة واحدة » قالوا يا رسول الله من هم ؟ قال « الزنادقة وهم القدرية » أخرجه العقيلي وابن عدي ورواه الطبراني أيضا . قال أنس كنا نراهم القدرية . قال ابن الجوزي وضعه برد بن اشرس وكان وضاعا كذابا واخذه عنه ياسين الزيات فقلب اسناده وخلطه وسرقه عثمان بن عفان القرشي وهؤلاء كذابون متروكون

« وأما الحديث الذي أخبر النبي (ص) ان أمته ستفترق الى ثلاث وسبعين فرقة واحدة في الجنة واثنتان وسبعون في النار فروي من حديث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص وابن عمر وأبي الدرداء ومعاوية وابن عباس وجابر وأبي امامة وواثلة وعوف بن مالك وعمرو بن عوف المزني فكل هؤلاء قالوا واحدة في الجنة وهي الجماعة . ولفظ حديث معاوية ما تقدم فهو الذي ينبغي أن يعول عليه دون الحديث المكذوب على النبي صلى الله عليه وسلم والله اعلم اه ما أورده السفاريني

أقول حديث معاوية الذي أشار اليه رواه عنه احمد والطبراني والحاكم بلفظ « ان أهل الكتاب افترقوا في دينهم على اثنتين وسبعين ملة وان هذه الامة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة كلها في النار الا واحدة وهي الجماعة » وفيه زيادة عزاها السفاريني الى أبي داود فقط وهي « وانه ستخرج في أمتي أقوام تتجارى بهم الاهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه فلا يبقى منهم عرق ولا مفصل الا دخله » وهذا أمثل ما رواه الحاكم من ألفاظ هذا الحديث وسنده لا يسلم من مقال ورواه بغير

هذا اللفظ عن كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف عن ابيه عن جده . وكثير هذا طعنوا فيه حتى قال الشافعي وابو داود انه ركن من أركان الكذب وقال ابن حبان له عن أبيه عن جده نسخة موضوعة وذكر الذهبي ان العلماء لا يعتمدون على تصحيح الترمذي لأنه روى عنه حديث « الصلح جائز بين المسلمين » وصححه

وجملة القول ان تعدد طرق هذا الحديث يقوي بعضها بعضا على طريقتهم المتبعة في ذلك وأظن انه لا تسلم رواية منها عن طعان أو مقال كما قال ابن شهاب خلافا لمن اعتمد تصحيح الحاكم لبعضها وكلها مشكلة مخالفة للاحاديث الصحيحة كما يأتي

وأما معنى الحديث بصرف النظر عن سنده فهو ان الفرقة الناجية هي الفرقة التي تتبع السنة التي كان عليها النبي (ص) وأصحابه أي سنة السلف الصالح قبل ظهور البدع وهؤلاء هم الجماعة قلوا أم كثروا وهم لا ينحصرون في هذا الزمان بأهل مذهب معين من المذاهب المعروفة على ان أهل الاثر والحنابلة أقرب من غيرهم الى السنة وابعد عن البدعة وذلك ان المسائل التي اختلف فيها أهل المذاهب لا ينحصر الحق فيها في مذهب دون غيره فتارة يكون الصواب مع الاشعرية وتارة مع الماتريدية فيما يختلفان فيه وقل مثل هذا في خلاف المعتزلة والشيعة وغيرهم وفي الفروع وسائر المذاهب . ثم ان المنتمين الى هذه المذاهب ليسوا متبعين لائمتها حق الاتباع فيكون أتباع المصيب هم الفرقة الناجية . فالظاهر ان الناجين في كل زمان هم أهل الاتباع الذين يتقون الابتداع ولا يخلو المنتسبون الى مذهب من المذاهب المعتد بها في الاسلام عن طائفة أو افراد منهم يؤثرون السنة على كل بدعة ومجموعهم طائفة واحدة يجمعهم الاعتصام بالكتاب والسنة (ثلة من الاولين ، وقليل من الآخرين)

وقد عد بعضهم هذا الحديث مشكلا وتوسع الشيخ صالح المقبلي في بيان هذا الاشكال وحله في كتابه العلم الشامخ واننا نلخص منه ما يأتي

قال « والاشكال في قوله كلها في النار الاملة فمن المعلوم انهم خير الامم وان المرجو أن يكونوا نصف أهل الجنة مع أنهم في سائر الامم كالشعرة البيضاء في الثور الاسود أو كالشعرة السوداء في الثور الابيض حسبما صرحت به الأحاديث فكيف يتمشى هذا ؟ فبعض الناس تكلم في ضعف هذه الجملة وقال هي زيادة غير ثابتة و بعضهم تأول

الكلام بأن الفرقة الناجية صالحو كل فرقة وهو كلام متنقض لان الصلاح ان رجع الى محل الافتراق فهم فرقة واحدة لأفراد من الفرق وان رجع الى غير ذلك فلا دخل له لان الكلام انهم في النار لأجل الافتراق وما صاروا به فرقا

« ثم ان الناس صنفوا في هذا المطلب وأخذوا في تعداد الفرق ليبلغوا بها الى ثلاث وسبعين ثم يحكم كل منهم لنفسه ومن وافقه بأنه الفرقة الناجية وانما يصنعون ذلك لادعاء كل منهم انه على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ثم صرح بذلك صلى الله عليه وآله وسلم ثم اتفق عليه جميع الفرق الاسلامية انما ينحصر النظر فيمن الباقي على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ومن المعلوم ان ليس المراد ان لا يقع منها أدنى اختلاف فان ذلك قد كان في فضلاء الصحابة انما الكلام في مخالفة تصير صاحبها فرقة مستقلة ابتدعها

« واذا حققت ذلك فهذه البدع الواقعة في مهمات المسائل وفيما يترتب عليه عظائم المفاسد لاتكاد تنحصر ولكنها لم تخص معينا من هذه الفرق التي قد تحزبت والتأم بعضهم الى قوم وخالف آخرون بحسب مسائل عديدة حتى ادخلوا نوادر المسائل وما لاضرر في مخالفته فربما لم يكن من مهمات الدين أو لم يكن من الدين في شيء ولكن كلٌّ تسمى باسم مدح اخترعه لنفسه وصاروا يجعلون المسائل شعارا لهم من دون نظر في مكانة تلك المسألة في الدين والخوارج يسمون نفوسهم الشراة والاشاعرة يسمون نفوسهم أهل السنة والمعتزلة يسمون نفوسهم العدلية أو أهل العدل والتوحيد لان خصمهم يثبت الصفات أمورا مستقلة فليسوا بموحدين أو لانهم مشبهة اماصريحا أو إلزاما ونحو ذلك مما تخبرك به كتب المقالات والكلام. والانصاف ان كلا منهم قد اخترع مالم يكن في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والصحابة رضي الله عنهم واختلفت البدع فمن كبير وأ كبر وصغير وأصغر ومابينهما اعني الكبر والصغر اللغويين لا الاصطلاحيين فذلك مما لاسبيل اليه الا بالتوقيف والمفروض ان هذه أشياء مخترعة فكيف التوقيف على مالم يذكر بنفي ولا إثبات انما غايته ان يكون دخل في عموم نهي أو نحو ذلك فتعيين الفرق وتعدادها فرقة فرقة وأنها هي التي أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم مما لاسبيل اليه ألبتة انما تكلموا فيها خبطا

وجزافا سبا . لهم ذلك وجرأهم عليه البدعة الاولى التي خالفوا بها السنة

« فان قلت ومن ذا الذي بقي على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ولم يشارك الناس في تحزبهم وابتداعهم (قلت) امافي العصور المتقدمة فكان ذلك هو الغالب ومازالوا من عام الى عام يرذلون وأما الآن في زمن الغربه فأما من يرجع اليه في مسائل الدين وهم المتفقهه ففي غايه القلة وبذلك تصدق الغربه لان العلماء هم المقتدى بهم وبهم يصير الدين غريبا وأهيلا على انهم قدقالوا في أنفسهم لا تكاد تجد اليوم مدعيا عنده بينة ، وأما الاعصار المتوسطه من المئتين الى سبع مئه تقريبا ففيها ثورة العلماء وجلة الجهابذة الحكماء وما شئت ان تأخذ منهم من خير وشر وجدته أما الخير فبتحقيق فنون العلم وبثها وأما الشرفبتأييد الفرقه »

ثم انه قسم الناس الى عامة وخاصة وقال ان العامة ومنهم النساء والعبيد براء من البدعة ولا يسمون أهل السنة أيضا بل يسمون مسلمين

قال « وأما الخاصة فنهم مبتدع اخترع البدعة وجعلها نصب عينيه وبلغ في تقويتها كل مبلغ وجعلها أصلا يرد اليها صرائح الكتاب والسنة ثم تبعه أقوام من نمطه في الفقه والتعصب وربما جددوا بدعته وفرعوا عليها وحملوه ما لم يتحمله ولكنه امامهم المقدم وهؤلاء هم المبتدعة حقا لكن تختلف تلك البدعة في كونها ذات مكانة في الدين أم لا »

ثم ذكر ان من الناس من تبع هؤلاء ونلصرهم وقوى سوادهم بالتدريس والتصنيف ولكنه عند نفسه راجع [illegible] الحق وقد دس في تلك الابحاث نقوضها لكن على وجه خفي [illegible] ب في كلام الناس وعرف أوائل الابحاث وحفظ كثيرا من غثاء [illegible] حصلوه ولكن أرواح البحث بينه وبينها حائل لقصور الهمة والرضا من الاوائل قال « وهؤلاء هم الاكثرون عددا والارذلون قدرا فانهم لم يحظوا بخصيصة الخاصة ولا أدركوا سلامة العامة » وقال ان هؤلاء لم حكم الابتداع والذين قبلهم ظاهرهم الابتداع ورأيه أن تعامل هذه الاقسام الثلاثة معاملة المبتدعة وحسابهم على الله تعالى

قال « ومن الخاصة قسم رابع ثلة من الأولين وقليل من الآخرين أقبلوا

على الكتاب والسنة وساروا بسيرهما وسكتوا عما سكتا عنه وأقدموا وأحجموا بهما وتركوا تكلف ما لا يعنيهم وكان تهمهم السلامة وحياة السنة آثر عندهم من حياة نفوسهم وقرة عين أحدهم تلاوة كتاب الله تعالى وفهم معانيه على السليقة العربية والتفسيرات المروية ومعرفة ثبوت حديث نبوي لفظا وحكما فهؤلاء هم السنية حقا وهم الفرقة الناجية واليهم العامة بأسرهم ومن يشاء ربك من أقسام الخاصة الثلاثة المذكورين بحسب علمه بقدر بدعتهم ونياتهم »

ثم بين ان هذا هو المخرج من الاشكال ومناقضة هذا الحديث لأحاديث فضائل الامة المرحومة واحتج لذلك بحديث حذيفة في الصحيحين وسنن أبي داود قال كان الناس يسألون رسول الله (ص) عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت يا رسول الله انا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال « نعم » قلت فهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال « نعم وفيه دخن » قلت وما دخنه قال « قوم يستنون بغير سنتي ويهتدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر » قلت فهل بعد هذا الخير من شر قال « نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم اليها قذفوه فيها » قلت يا رسول الله فما تأمرني إن أدركني ذلك قال « تلزم جماعة المسلمين وإمامهم » قلت وان لم يكن جماعة والا إمام قال « فاعتزل تلك الفرق كلها ولو ان تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك » ثم شرح المصنف هذا الحديث وطبقه على أحوال المسلمين الى عصره في القرن الحادي عشر وأكبر العبرة فيه الامر باعتزال جميع فرق المسلمين اذا لم تكن كلمتهم مجتمعة على الامام الحق الذي يقيم الدين وينشر دعوته في العالمين

الاسلام دين التوحيد وما أمر المسلمون الا ليعبدوا إلها واحدا ويتبعوا دينا واحدا ويتبعوا لهم إماما واحدا ويكونوا أمة واحدة لا يفرقهم نسب ولا لغة ولا وطن وقد نهوا عن التفرق كما نهوا عن الكفر ولكن ظهر الاسلام في الاميين فلم تكد الامم والشعوب تتبين بعض معارفه حتى دخلوا فيه أفواجا من غير دعوة منتظمة ولا مدارس منسقة لانهم فضلوا ببعض ماعرفوا منه على كل ما كانوا يعرفون من

أديانهم فكان هذا الاقبال السريع على الدخول فيه من أسباب تفرق أهله شيعا ومذاهب ودولا وأنما كل حزب بما لديهم فرحون «تنصر أحزاب السياسة أحزاب الدين وأحزاب الدين أحزاب السياسة على حزب التوحيد وتفريق الموحدين حتى جنوا على التوحيد نفسه توحيد الألوهية بالتوجه الى غير الله ودعاء سواه، وتوحيد الربوبية بشرع مالم يأذن به الله، وحتى سلط الله تعالى على جميع هذه الاحزاب أعداء خضدوا شوكتها، وزلزلوا دولتها، فضعف الغرور بها، وعلى قدر ضعفهم وضعفها صار بعض المسلمين يشعرون بحاجتهم الى الاتحاد بسائر اخوانهم، وكان أول من دعاهم في هذا العصر الى وجوب التعارف والاتحاد المصلح الحكيم الشهير السيد جمال الدين الافغاني رحمه الله تعالى ورضي عنه، وقد صار المقتنعون بوجوب ذلك كثيرون

ان تفرق المسلمين في السياسة والدولة قد خرج أمر تلافيه من أيدي المسلمين لانهم صاروا كلهم عالة على دول أوربا القوية حتى ان أقوى دولهم تعيش بمال أوربا وبعمل فيها نفوذ أوربا مالا يستطيع أحد ان يمنعه فلا نبحث في هذا فان له اجلا لا بد ان يبلغه وإنما نستفيد من حوادث الزمان في ضغط أوربا ما نستعين به على تلافي ضرر التفرق في المذهب والجنس واللغة فقد رأينا ميل الفرس وإحساسهم باخوة سائر المسلمين قد قوي بعد احتلال روسية لبعض بلادهم وتهديد انكلترة إياهم باحتلال البعض الآخر

أما التفرق في المذاهب فقد ضعف بقلة المذاهب وجهل المنتسبين اليها بها وقلة اتفاضهم بعصبيتها وتوجه كثيرين منهم الى علوم وآداب أخرى غريبة عنها فإن أمامنا فرق كبيرة يذكرون بلقب مذهبي الامامية والزيدية من الشيعة والاباضية من فرق الخوارج والوهابية من فرق أهل السنة وكانوا يسمون الحنابلة ومعظم النزاع بينهم وبين الاشعرية وقد تلاشى لقب أشعري وماتريدي من غير الكتب وأما الخلاف في الفروع فألقاب المذاهب فيه محفوظة ولا يعرف الجماهير من المذاهب التي ينتسبون اليها الا قليلا من المسائل التي يخالفون فيها غيرهم كقنوت الشافعية في الصبح وسدل المالكية أيديهم في الصلاة، وقد بقي لكل مذهب في الاصول والفروع طائفة من المنقطعين الى تعلمها وتعليمها يتعصبون لها لانها مورد معيشتهم ومصدر جاههم

فهم الآن دعاة التفريق وأنصاره ولكن حوادث الزمان ستمحق هؤلاء باظهار دواعي الالفة والوحدة ومضرات التفرق فيكون المؤمنون اخوة متحابين لايمنعهم من ذلك الاختلاف في بعض *المسائل الدينية* ، بل يكون كالخلاف في *المسائل العلمية والعادية*

وأما التفرق باختلاف اللغة والجنس والوطن فله في العصر دعاة من المتفرنجين هم أشد آفة وفتنة من دعاة التفرق بالمذاهب لانهم يتغلبون على المناصب وأعمال الحكومة ومصالحها بميل الحكومات الى تقليد الافرنج في كل شيء حتى صار في مسلمي مصر من يفتخر بالفراعنة وإن كان فيهم من امنه الله وكلهم في الوثنية واستعباد البشر سواء ، ومن الفرس من يفتخر بسلفه من المجوس ، بل نرى بعض الشعوب التي لا يعرف لها سلف مدني له آثار في العلوم والفنون قبل الاسلام أشد عصبية للصنف واللغة من الشعوب التي لها سلف في ذلك ، فيجب على علماء الاسلام الاعلام ان يتحدوا ويتعاونوا في جميع البلاد الاسلامية لكبح شر هؤلاء وتحقيق الوحدة الاسلامية التي جعلت المسلمين كلهم أخوة حتى تسنى بها لعتيق حبشي أسود ان يعتقل أميرا قرشيا فاتحا بعمامته في مكان سلطانه وسودده امام الناس ويقوده بها الى المحاسبة على ما أنفق من مال الامة ، ذلك العتيق الحبشي هو بلال رضي الله عنه وذلك الامير هوسيد بني مخزوم سيف الله و رسوله خالد بن الوليد رضي الله عنه

ان الوحدة الاسلامية الدينية الادبية التي ينشدها المصلحون تتوقف على تعميم لغة الاسلام بين جميع الشعوب الاسلامية اذ لاتآلف بغير تعارف ، ولا تعارف بغير تفاهم ، ولا يسهل التفاهم بين المسلمين الابلغة دينهم المشتركة بينهم وهي العربية التي لم تعد خاصة بالعنصر العربي بالنسب كما ان الاسلام ليس خاصا به — وعلى تعارف علماء المسلمين وتعاونهم بالجمعيات العلمية الادبية والجرائد على توحيد طريقة التعليم الديني والاجتماعي وقد أنشأوا يشعرون بهذه الحاجة لحياتهم وسيكون العمل قريبا ان شاء الله تعالى

* * *

﴿ القرآن في الفونغراف ﴾

(س ٥٦) من صاحب الامضاء في روسية

أرجو ياحضرة الاستاذ أن تفيدنا عن السؤال الآتي :

قد افتتح البحث بطرفنا في جواز استعمال القرآن في صندوق الفونوغراف

الذي حدث في هذ الزمان وهل يعد قرآناوهل اذا كان قرآنا يجوز استعمال الصندوق للقراءة ويجوز سماعها منه ·

وعندنا في هذه المسألة فريقان يختصمان فريق يحرمونه بالكلية ويقولون انه استعمال القراءة في محل اللهو واللعب وإن الصندوق لايستعمل للعبادة · وفريق يجوزونه والمحسوب من جملتهم · لان أهل بلاد القزان محتاجون لاصلاح قراءة القرآن الكريم بالانغام العربية ولايتيسر لكل أحد منهم أن يذهب الى مصر أو الحجاز حتى يتلقى من أفواه المشايخ وان قلنا بجواز استعماله كنا نتعلم ونأخذ مافي الصندوق من الانغام العربية المطربة والاصوات المدهشة وكنا كأبي سلامة الحجازي وغيره من القراء ·

ولا شك ان استعماله بهذا القصد يكون عبادة أفيدونا ولكم الاجر والثواب

أبو أديب حافظ حلمي

(ج) اذا كانت علة تحريم استعمال هذا الصندوق في القراءة هي أنه استعمال له في محل اللهو فالتحريم غير ذاتي عندهم ولا هو تحريم لايداع القرآن في ألواح هذه الآلة أو اسطواناتها ولا لادارتها لأجل أدائها التلاوة وانما تحريم لأجل هذا الأداء في محل اللهو واللعب الذي ينافي احترام القرآن واذا كان الحكم يدور مع العلة فيمكن أن يقال بانتفاء الحرمة عند انتفاء تلك العلة والسماع من الصندوق لأجل العظة أو ضبط القراءة أو غير ذلك من المقاصد الصحيحة · فان قيل انه ينبغي القول باطراد الحرمة لأجل سد ذريعة إهانة القرآن يمكن أن يجاب بمنع كون هذه الاهانة محققة أو غالبة في استعمال المسلمين لهذه الآلة في التلاوة ، وعلى تقدير التسليم يقال أن ما حرم لسد الذريعة يباح للحاجة كاباحة رؤية المرأة الاجنبية عند القائلين بتحريم رؤية وجهها لسد ذريعة الفتنة اذا احتيج الى ذلك لأجل توكيل أو شهادة وجواز رؤية الطبيب لأي جزء من بدنها المحرم ابداؤه بالاجماع لأجل المداواة فالصواب ان استعمال هذه الآلة في التلاوة لا يحرم الا اذا كان فيه إخلال بالأدب الواجب في الاستعمال والسماع والعمدة في ذلك النية والعرف وقد يكون مستحبا اذا كان فيه عظة أو ضبط للقراءة وربما كان واجبا كأن يتوقف عليه ضبط وحفظ ما تجب تلاوته في الصلاة كالفاتحة . وقد انتقدنا على السائل تعبيره عن الاداء

الصحيح والتجويد لتلاوة القرآن بلفظ الانغام المطربة فالتطريب الذي يكون من بعض القراء بمصر محظور لأنه ينافي الخشوع . واذا كان يعني بأبي سلامة الحجازي الشيخ سلامه حجازي المصري المشهور فليعلم انه ليس من القراء ولكنه من المطربين . والحاصل أن الاقدام على التحريم ليس بالأمر السهل لأنه تشريع جديد بخلاف القول بالحل فانه الاصل في الاشياء ، والنيات في القلوب ، والعرف العام ليس مما يخفى فيختلف فيه الناس ، ولا أنكر أن في مصر من لايراعي الادب الواجب في هذا الاستعمال فالحذر الحذر

(باب المقالات)

مشروع احياء الآداب العربية (*)

﴿ تقاومه جريدة قبطية ﴾

عزمت الحكومة المصرية على طبع بعض الآثار العربية من المصنفات النافعة النادرة بالمال الخاص بدار الكتب المصرية (الكتبخانة الخديوية) وكان لديها في الميزانية ألف جنيه لتنشيط الآداب العربية فقررت اضافته الى المحبوس على دار الكتب والاستعانة به على طبع تلك الآثار

عزم شريف على عمل صالح يحمده كل أديب عربي ولا ينتقده عاقل أعجمي لان هذه الحكومة عربية والامة الذي تحكمها عربية وهي حكومة غنية تعد الالف الجنيه قليلة منها على مثل هذا العمل التي تنفق حكومات أوربة وشعوبها في سبيله ألوفا كثيرة من الجنيهات حتى صارت دور الكتب في بلادهم (كباريس ولندن وليدن وبرلين) أغنى من دار الكتب المصرية بمصنفات سلفنا العرب من المصريين وغيرهم وصاروا يطبعون من نفائسها ما نضطر الى ابتياعه منهم بل صرنا نرسل أولادنا ليتعلموا الآداب العربية في أوربا وهذا عار علينا عظيم

لم تكن العناية ببذل المال على جمع الكتب العربية ونشرها قاصرا على الحكومات

(*) ترى الكلام على هذا المشروع متصلا في موضع آخر من هذا الجزء

ورجال العلم من الاوروبيين بل رأينا بعض الجمعيات الدينية النصرانية تفعل ذلك كجمعية اليسوعيين فقد رأينا مكتبتها في بيروت جامعة لنفائس الكتب العربية التي يعز نظيرها في مكتبتنا المصرية وقد طبعت لنا كثيرًا من هذه النفائس

لا ريب في أن العمل الذي شرعت فيه الحكومة المصرية العربية جليل ، ولا ريب في أن المال الذي خصصته له في هذا العام من ميزانيتها قليل ، فهي تنفق أكثر منه في ضيافة أحد ضيوف الامير يوما واحدا ، وتنفق أكثر منه في مساعدة التمثيل الافرنجي الذي يرى جمهور الامة أن إثمه أكبر من نفعه . وتنفق أكثر منه في البحث عن أسباب النيل والوقوف على أنواعها وهو عمل قلما يوجد مصري ينتفع به وإنما يعد مثله من كاليات فروع العلوم في أوربا وأين نحن من مبادي أصول هذا الفرع الآن

على هذا كله حمد العقلاء والادباء مشروع الحكومة الجديد ، وهم يرجون منها المزيد ، ولم يكن يخطر في البال أن يلقى هذا المشروع اعتراضا ، ولا أن يصادف امتعاضا ، حتى سمعنا نعاب صاحب جريدة الوطن القبطية يدعو بالويل والثبور وينعي على الحكومة المصرية عملها ويندب الشعب المصري مدعيا أن الحكومة تريد بهذا العمل افساد آدابه ومنعه من العلوم والمعارف والآداب الصحيحة التي ترقيه وتجعله من الشعوب العزيزة الراقية ! وزجه في ظلمات « الخرافات والسفاهات والسخافات والجهالات العربية » ! ؟ وزعم الكاتب انه لا يوجد في الكتب العربية غير تلك المضار التي استغرق كل ما في جوفه وجعله وصفا لها وكل اناء ينضح بما فيه

رأيت في بعض الجرائد بعض عبارات جريدة الوطن البذيئة في هذه المسألة وأطلعني بعض الناس على عدد منها رأيت الكاتب فيه لم يكتف بتحقير جميع العرب والقدح في كل ما كتبوا وصنفوا حتى صرح بذم دينهم في ضمن ذلك فقال في سياقه البذيء « وهل أصبح كل ما في مصر آداب العرب وتاريخ العرب وحضارة العرب ودين العرب وكتب العرب وخرافات العرب وغلاظات العرب وحرم علينا أن نلم بالمفيد وأن ينفق مالنا فيما يرقى الآداب والمعيشة ويرفعنا من هذا الحضيض القذر الى مقام الذين تطهروا من سخافات الأجداد » الخ

يعني الكاتب بدين العرب دين الاسلام وهو يريد أن يمحي الاسلام ولغته

وآدابها من مصر وتحل محلها القبطية وهذا هو السبب الذي جعل مشروع طبع الكتب العربية ينقض عليه انقضاض الصاعقة كما قال في مقالة يوم السبت (٨ ذي الحجة) التي نقلنا هذه الجملة منها آنفا وهي أهون ما كتب وأقله بذاء، وماهو بالمصاب الكبير في نفسه الذي يصعق له الناس فيصرعون فيقومون كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس لا يدرون ماذا يقولون

صاحب الوطن جاهل بلغة العرب وآداب العرب وحضارة العرب، وتاريخ العرب ودين العرب لا يعرف من ذلك مايجيز له الحكم في نفعها وضررها . ولكن الجهل وحده لا يستطيع أن يهبط بصاحبه الى الدرك الأسفل الذي وقع فيه صاحب الوطن ومن عاونه على تلك الكتابة وانما ذلك الغلو في التعصب الديني و بغضه لمسلمي وطنه جعله يصعق من كل شيء يستفيدون منه في دينهم وان كان نافعا للبلاد المصرية

لو كانت علته هي الجهل وحده لأمكن مداواتها في هذه المسألة باعلامه ان اللغة العربية ليست خاصة بالمسلمين وإنما هي مشتركة بينهم و بين غيرهم في نفس جزيرة العرب لا في مصر وحدها وقد كانت لغة اليهود والنصارى فيها قبل ظهور الاسلام وقد صارت بعده اللغة الطبيعية لجميع العراقيين والسوريين والمصريين وسائر القسم الشمالي من أفريقية وانه ليس في استطاعة صاحب جريدة الوطن وصاحب جريدة مصر القبطيتين ومن على رأيهما من المتعصبين نسخها واستبدال القبطية بها و إذا كان الامر كذلك وكان من البديهيات ان ارتقاء أمة بدون ارتقاء لغتها وآداب لغتها من المحال وكان يحب ارتقاء المصريين عامة في العلوم والفنون والمدنية كما يدعي فالواجب عليه أن يشكر للحكومة عملها في خدمة آداب لغتها ولغة أمتها لا أن يصعق عند علمه بذلك

لو كانت علته هي الجهل وحده لأمكن مداواتها باعلامه بما قال منصفو علماء الافرنج في بيان فضل لغة العرب وآدابهم وحضارتهم كغوستاف لو بون صاحب كتاب مدنية العرب وسديو صاحب تاريخ العرب ودراير وغيرهم ، وقد سئل أحد علماء الانكليز: اذا أراد البشر أن يوحدوا لغتهم فأي اللغات تختار أن تكون لغة جميع البشر؟ قال اللغة العربية . وقد قال لي مرة مستر (منشل أنس) الانكليزي الذي كان وكيلا لنظارة المالية ماأظن انه يوجد في العربية شعر راق كالشعر الانكليزي

فقلت وأنا أظن العكس ولا عبرة برأيي ولا برأيك في ذلك فيجب أن نرجع الى العارف باللغتين، صاحب الذوق في الشعرين ، ثم لقيت مستر (بلنت) الكاتب الشاعر الانكليزي المشهور الذي نظم المعلقات السبع العربية بالانكليزية فذكرت له ذلك فقال قل (لمتشل أنس) ان العرب كانوا ينطقون بالحكمة في شعرهم عند ما كان الانكليز مثل الوحوش يطوفون في الغابات عراة الاجسام

لو كانت علته هي الجهل وحده لامكن مداواتها باعلامه ان الامم الحية تبحث عن الكتب القديمة في لغتها وكذا في لغة غيرها لاجل الوقوف على سير العلوم والفنون والآداب فيها توسعا في التاريخ وتحقيقا لمسائله ولا سيما اذا كانت كتب تلك اللغات من حلقات سلسلة المدنية والحضارة كاللغة العربية التي هي الحلقة الموصلة بين المدنية الاوربية الحاضرة والمدنيات القديمة باجماع العارفين

لو كانت علته هي الجهل وحده لأمكن مداواتها باعلامه بما في الكتب العربية من الآداب والفضائل ولو بالاجمال، وبوجه حاجة الامة التي تسير في طريق الارتقاء من معرفة تاريخ لغتها وآثار سلفها فيه، وبأن تكوّنها من شعوب كثيرة لهم سلف آخرون في النسب والدين أو المدنية لاينافي حاجتها الى احياء آثار سلفها في اللغة لان رابطة اللغة هي التي تربط هذه الشعوب بعضهم ببعض وتجعل ارتقاءهم بها وحياتهم العامة بحياتها

لو كانت علته هي الجهل وحده لامكن مداواتها باعلامه أن البشر متشابهون في الصفات والاعراض البشرية وان ذلك خيره وشره يظهر في لغاتهم فاذا كانت عين التعصب أرته في بعض الكتب العربية طعنا من مسلم في دين النصارى فليعلم أن في الكتب العربية القديمة والحديثة طعنا من النصارى في الاسلام مثل ذلك أو أشد اذا كان قد عمي عما يكتبه هو وغيره من قومه في هذا العصر من الطعن في الاسلام وحسبه منه العبارة التي نقلناها آنفا التي جعل فيها دين العرب وآدابهم من الاقذار التي قاءها في جريدته ، ويوجد في كتب الافرنج من الطعن في الدين الاسلامي والمسلمين ماهو أشد من ذلك وأقبح وكله بهتان لم يخطر على بال أحد من أجهل جهلاء المسلمين بالاسلام . واذا كان قد رأى أو سمع أن في بعض الكتب العربية مجونا فليسأل المطلعين على اللغات الاوربية يخبروه أن في بعضها من فنون المجون ما لم يكن

يخطر على بال أحد من العرب ولا يجري على لسانه ولا على قلمه ، وهل انثنت الدنيا بفواحش بنايا أوربة وبقيت لغاتهم منزهة عن التعبير عن ذلك ؟؟

لو كانت علته هي الجهل وحده لامكن مداواتها بإعلامه أن طبع الحكومة لبعض الكتب العربية لاتقصد أن تستغني به عما تستفيده من الافرنج مما لا بد لنا منه من الفنون الصناعية والزراعية والاقتصادية ولا أن تبطل به نظام التعليم في المدارس فتعلم تلاميذها الجغرافية القديمة بدلا من الجغرافية الحديثة (مثلا) بل لا نظن أن هذا مما يخفى عليه

لو كانت علته هي الجهل وحده لأمكن مداواتها باطلاعه على نظام التعليم في مدارس الحكومة التي يدعي أنها تريد قتل الامة بجهالات العرب ... وإخباره بأن نظارة المعارف قد أنشأت قلما جديدا لترجمة الكتب المفيدة فهي اذا التفتت الى ترقية لغتها بأحياء تاريخها الماضي لغة واحدة فقد نظرت الى ترقيتها بادخال العلوم الاوربية فيها قبل ذلك وكل مدارسها شاهدة على ذلك ، وانما قلم الترجمة الجديد حسنة من حسنات الناظر الجديد أحمد حشمت باشا

ليست علة صاحب جريدة الوطن هي الجهل فنداويها بما ذكرنا وما لم نذكر من العلم الصحيح فان الجهل وحده لا يستطيع الى أن يهبط به الى هذه الدركة من الخذلان وانما علته هي الغلو في التعصب القبطي وكراهة كل شيء ينفع الاسلام والمسلمين وان نفع غيرهم ولم يضرهم وقد بلغني وأنا في الاستانة ان التعصب قد لج به وبزميله صاحب جريدة مصر في هذا العام حتى أنكر ذلك عليهما قومهما وهذه العلة لا علاج لها ولا دواء ولكن يمكن تخفيف أعراضها بحكمة الحكومة وعدلها أو باظهار جمهور القبط السخط عليها إن كانوا يعقلون

* * *

نشرنا هذه المقالة في المؤيد ثم ان الحكومة أنذرت صاحب جريدة الوطن بهذا الذنب وكان قد أنذر من قبل فاذا أتى بعد هذا بأي ذنب يعاقب عليه القانون تقفل جريدته . وأما القبط فقد ظهر من جمهور كبير منهم انهم راضون من وقاحة جريدة الوطن وتهجمها ولذلك ساعدتها جريدتهم الثانية (مصر) على ذلك ، وأيدتهما جريدة (الاخبار) أيضا ، والظاهر ان القوم يريدون بهذا التهجم الذي لا يمتز له سبب احداث فتنة بين المسلمين والقبط ويظنون ان ذلك يكون سبب البطشة الكبرى من انكلترا فلا تبقي للمسلمين في هذه الحكومة باقية

الدين والالحاد والاشتراكية

﴿ نصر المقتطف الايمان على التعطيل ﴾

يظن الكثيرون ان صاحبي مجلة المقتطف من الملاحدة المعطلين وكنت أنا أظن ذلك حتى اتفق من بضع سنين ان جرت بيننا مناظرة خاصة جر اليها الكلام العادي وكنت أنا الموجب المثبت بالطبع وكان آخر قولي المقبول فيها وصفوته أن هذه الكائنات في جملتها حادثة لم يكن شيء منها كما نعرفه الآن وفيها من الابداع والنظام مايستحيل ان يكون حصل بالمصادفة أو يكون مصدره العدم المحض بل يجب عقلا ان يكون لهذا الابداع والنظام العجيب في العوالم العلوية والارضية مصدر وجودي ولكن حقيقة هذا المبدع الموجد للنظام والحافظ له مجهولة فنحن نسميه (الله) فاذا اعترف الماديون بالعقل في هذا المبدع وسموا ذلك المبدع (المادة) فالاختلاف انما يكون بالتسمية والالفاظ، الخ مادار بيننا يومئذ ووافقني فيه مناظري أو محدثي على اثبات وجود الباري عز وجل، وان من كفر من علماء أوربا بالآله الكنيسة لايمكنه ان يكفر بالآله الطبيعة، واعني بالآله الكنيسة الموصوف بما تصفه به من الاقانيم والصفات، وكنت أقول في نفسي بعد ذلك هل الدكتور يعقوب صروف مادي حقيقة وهل كانت مناظرته لي استرسالا في هذا البحث العلمي أم انتصارا لاعتقاده أم اختبارا لي ؟

ذكرت في كتابي (الحكمة الشرعية) الذي كان أول شيء ألفته أو كتبته في المسائل العلمية الدينية والاجتماعية ان أجدر الناس بقوة الايمان بالله تعالى علماء الطبيعة الواقفون على مالا يعرفه غيرهم من علماء الدين بنظام الكون وآيات الله تعالى فيه وهم العلماء المشار اليهم في قوله تعالى (٣٥ : ٢٦ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها، ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ٢٧ ومن الناس

والدواب والانعام مختلف ألوانه كذلك ؛ انما يخشى الله من عباده العلماء ؛ ان الله عزيز غفور) فلا ريب ان المراد بالعلماء هنا العلماء بآياته تعالى وحكمه في نظام هذه الكائنات المذكورة في الآيات

ثم رأيت في فاتحة جزء المقتطف الذي صدر في هذا الشهر مقالة علمية لمحرر المقتطف يرد فيها على أحد المعطلين الاشتراكيين ويستدل على وجوده تعالى بآياته في خلقه على طريقة القرآن لا على طريقة المتكلمين النظرية ويشرح هذه الآيات شرحا علميا على طريقة علماء الكون في هذا العصر ، وقد أشار في هذه المقالة الى سبب كتابتها وهو مانشره بعض المعطلين في باب المراسلة والمناظرة منه

راجعنا باب المناظرة فرأينا فيه رسالة بامضاء (سلامه موسى) يرتأي فيها أن الحكومة المصرية لا يصلح حالها الا بالسير على مذهب الاشتراكيين الذي عنوانه (لا رب ولا سيد) أي لا دين ولا سلطة ، وقال الكاتب في رسالته ما نصه « ما هي اعتراضاتكم على الاشتراكية وعلى الالحاد ؟ ماتت بالأمس زوجة لصديق اشتراكي لي فشيعناها الى القبر بلا صلاة وكان على عربة المائتة علم كبير مكتوب عليه بحروف واضحة يكاد يقرأها الأعمى « لا رب ولا سيد » ولم أر العالم اختل بذلك ولا الطريق تغيرت ولا الله ظهر ليثبت وجوده »

وقد علق المقتطف على هذه الرسالة تعليقا وجيزا ثم أيده بتلك المقالة فرأينا أن ننقل في المنار كل ما كتبه تذكيرا للعالم وعبرة للمقلدين في الكفر الذين يقولون لو كان أصل الدين حقا لما انكر وجود الله تعالى العلماء العارفون بنظام الكائنات ؛ وقد كثر عندنا هؤلاء المقلدون الذين قال في مثلهم الشاعر العربي

عمي القلوب عموا عن كل فائدة لأنهم كفروا بالله تقليدا

وقد رأينا أن ننقل ما كتبه المقتطف في التعليق على رسالة ذلك الملحد أولا ثم ننقل مقالته التي أيد فيها الايمان ، ثم نعقب ببعض ما كنا كتبناه في العام الماضي في مسألة من المسائل التي ألم بها المقتطف وهي حال المتدينين في الفضيلة وكون العمران مبنيا على أساس الدين والكفر داعية الفساد والخراب وهذا نص تعليقه على الرسالة

(المقتطف) نشرنا هذه الرسالة على جاري عادتنا من نشر رسائل المراسلين

ومناظرات المناظرين ولو كانت على غير رأينا . والغرض من نشرها إطلاع القراء على كيفية نظر الاشتراكيين في المسائل الاجتماعية ولا شبهة ان في الاجتماع البشري مساوئ كثيرة يجب نزعها وأمراضا مزمنة يجب علاجها وان الاشتراكية أفادت فائدة كبيرة في التنبيه الى هذه المساوئ وهذه الامراض ولكن سير العمران لم يتوقف على الاشتراكية والمصلحون الذين لهم اليد الطولى في اصلاح حال المجتمع لم يتبعوا خطة واحدة وطريقة مقررة فبعضهم أفاد المجتمع بنشر المبادئ الادبية و بعضهم أفاده بنشر المبادئ الدينية و بعضهم بالثورة على المستبدين . ولا تفلح طريقة من الطرق ما لم تتهيأ وسائلها وتستعد الامم لها والا كانت كالضرب في الحديد البارد . وعلمنا واختبارنا يدلاننا على أن الامة المصرية سائرة في الطريق الذي يمكن سيره في هذا القطر للبلوغ الى نزع المساوئ القديمة . قلنا الامة المصرية ولم نقل الحكومة المصرية لأن الحكومة جزء من الامة والموظفون الاجانب الذين فيها من الانكليز وغيرهم لا يقلون عن الوطنيين اهتماما باصلاح البلاد . والاصلاح المالي مقدم على الاصلاح العلمي دائما كما يشهد تاريخ الاجتماع فلم يخطئ لورد كرومر في سياسته المالية أي تقديم الاصلاح المالي على الاصلاح العلمي لان الانسان اذا أصلح ماله سهل عليه بعد ذلك تعليم أولاده والافلا . والحكومة الغنية يسهل عليها انشاء المدارس ونشر التعليم وأما الحكومة الفقيرة فيصعب عليها ذلك أو يتعذر

والتعطيل أي انكار وجود الله ونسبة الانسان اليه من مقوضات دعائم العمران ولا عبرة بثبوت العمران الآن بين الاقوام الذين شاع التعطيل عندهم لانهم تربوا تربية دينية فرسخ في نفوسهم عمل الواجب وكراهة الكذب والاعتداء على الغير ونحو ذلك من الشرور ولكن اذا نزع مبدأ الحلال والحرام الديني تعذر وضع مبدأ آخر يقوم مقامه و برسخ رسوخه ولذلك يوجس المفكرون شرا مما ستصير اليه حال أوربا وأميركا في أواخر هذا القرن اذا انتشر التعطيل فيها . هذا فضلا عن ان التعطيل غير معقول لذاته فرفضه خطأ علميا كما هو ضرر اجتماعيا والمجاهرة به تفضي الى اكبر المضار على نوع الانسان » اه

وهذه مقالته الافتتاحية :

آياته في خلقه

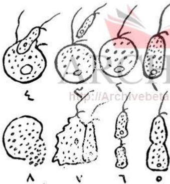
في باب المراسلة في هذا الجزء رسالة لكاتب يرى ان التعطيل أي انكار وجود الخالق لايضر أحداً . ونحن نرى انه يأتي بأكبر المضار ولكن هب انه لا يضر فهل هو معقول ؟

في إدارة المقتطف مطبعة أو آلة طباعة يديرها سير من الجلد تحركه الكهربائية فتسحب الورق من لفتين كبيرتين وتمرّه فوق حروف الطباعة بعد ان تحبرها وتطبعه من وجهيه وتقص منه صفحتين بعد صفحتين وتضم إحداهما داخل الاخرى وتلصقها بها وتطويهما طولا وعرضاً أربع طيات فيخرج المقطم منها مطبوعا مقصوصا ملصوقا مطويا . وهي تطبع كذلك اثني عشر الف نسخة في الساعة وتقصها وتلصقها وتطويها وتعدها تفعل ذلك كله من غير ان تساعدها يد أو يرشدها عقل . ولكن لقد اشتغلت عقول مئات من العلماء وعملت أيادي الوف من العمال مدة سنين كثيرة الى ان صارت هذه الآلة تعمل هذا العمل . وحتى الآن لايخرج منها عدد واحد من المقطم مطبوعا الا بعد ان تشتغل العقول وتعمل الايادي في بلدان كثيرة في عمل الورق والحبر واستخراج الفحم الحجري وتوليد الكهربائية ناهيك بما يلزم للآلات الكهربائية من المواد والعمال وبما لزم لسبك الحديد والنحاس والرصاص والنيكل ونحو ذلك من المعادن التي دخلت في عمل آلة الطباعة وعمل الحروف وعمل الآلات الكهربائية . ولو احصينا جميع الذين اشتغلوا في عمل كل مايلزم لطبع جزء واحد من المقطم لبلغ عددهم ألوفا وعشرات الالوف . فمن يقول ان المطبعة تطبع الجريدة لذاتها وينكر كل ماوراءها من العقول يخالف كل معقول .

يزرع القمح في هذا القطر في نحو مليون وربع مليون من الافدنة ومساحة الفدان أربعة آلاف ومئتي متر مربع ولا يقل عدد السنابل في المتر المربع من مئتي سنبلة . فعدد السنابل كلها التي تنبت كل سنة في القطر المصري وحده لايقل عن مليون مليون سنبلة أي أكثر من عدد كل سكان الارض ست مئة ضعف . وفي

كل سنبلة بل في كل حبة من حبوبها من الدقة في التركيب والحكمة في الوضع والصفات الموروثة والمكتسبة والاستعداد للنمو والتوليد مالا يوجد عشر معشاره في آلة الطباعة المشار اليها آنفا . فمن يستطيع ان ينكر وجود العقل الموجد لها والمتولي شئونها ولو بايجاد القوى التي تحرك كل دقيقة من دقائقها وكل ذرة من ذراتها

واذا استنرت بنور الكيمياء وحللت دقائق حبة القمح رأيت ان كل دقيقة منها مؤلفة من ملايين وملايين الملايين من الذرات الصغيرة وكلها متحركة ولا تحرك اجزاء آلة الطباعة وفيها من الصفات والخواص مايميز القمح الصعيدي عن البحيري والهندي عن البلدي . ثم اذا علمت ان مايزرع من القمح في هذا القطر ليس جزءا من مئة مما يزرع في الارض كلها ولا جزءا من مئة الف جزء مما ينمو من سائر الحبوب والبزور رأيت ان عالم النبات وحده يذهل العقول حتى لاترى لها مندوحة عن الاعتراف بالقوة الخالقة المدبرة



وعالم الحيوان لايقل عن عالم النبات في غرائبه . ترى في هذا الرسم حيوانا من اصغر الحيوانات الدنيا السابحة في الماء طوله جزء من ثلاثة آلاف جزء من العقدة أي لو جمع ثلاثة آلاف حيوان منه ونظمت طولا في سطر واحد مابلغ طولها أكثر من عقدة (بوصه) فلايرى الا بالميكرسكوب (المجهر) راقب بعضهم هذا الحيوان في العام الماضي ودرس طبائعه وكتب عنه يقول :- رأيته أولا كما في الشكل الاول مستطيلا وله ذنب دقيق طويل وعند مغرز هذا الذنب في بدنه ذنب آخر غليظ قصير فيسبح في الماء بتحريك هذين الذنبين وبعد ان يسبح مدة تختلف من بضع دقائق الى بضع ساعات يسكن ويصير كرويا كما ترى في الشكل الثاني ويبقى ذنبه الطويل متحركا متمعجا كالافعي وحركته تجعل أمواجا في الماء تندفع

اليه بما فيها من الميكروبات. وحينما تدنو هذه الميكروبات منه ينحني عليها ذنبه الطويل وتنفتح لها فتحة بين الذنبين فتبتلعها . على هذه الصورة يلتقم هذا الحيوان غذاءه وقد يلتقم حيوانات صغيرة من نوعه كما ترى في الشكل الثالث والرابع فهو من الحيوانات المفترسة على صغر جسمه وحقارة قدره . وقد التقم واحد امامي خمس حيوانات صغيرة من نوعه في تسع ساعات وقبض على ثلاثة أخرى ليبتلعها لكنها تملصت منه وهربت بعد ان كاد يفترسها . وفي باطنه سائل حامض يهضم مايفترسه كما تهضم معدنا الطعام ثم يسكن مدة بعد مايغتذي الغذاء الكافي ويعود جسمه مستطيلا كما كان اولا وتكثر المادة الحبيبية فيه ويحدث له حينئذ امر من امرين إما ان يستدق من وسطه كما ترى في الشكل الخامس ثم ينقسم الى حيوانين مستقلين كما ترى في الشكل السادس كل منهما مثل الحيوان الاول وإما أن يتغير شكله وتضعف حركته ويأتي حيوان آخر يشبهه وهو في شكله الاول ويلتصق به كما ترى في الشكل السابع فيمتزج الحيوانان امتزاج التزاوج الحقيقي ويصيران حيوانا واحدا كرويا فيزول ذنباه ويسكن مدة طويلة ست ساعات أو اكثر ثم ينفجر من احد جوانبه وتخرج البزور منه كما ترى في الشكل الثامن وكل منها جزء من ثلاثين ألف جزء من العقدة . وهذه البزور تعوم في الماء وتنمو رويدا رويدا وبعد نحو ساعتين يتولد لكل منها ذنبان ويصير حيوانا كاملا . أي ان هذا الحيوان الذي لايرى بالعين لصغره يولد ويتحرك ويتغذى ويتزوج ويلد حيوانات كثيرة من نوعه إما بالانقسام وإما بالولادة

وكم في مياه الارض من الملايين وملايين الملايين من مثله ؟ وكم في هوائها وترابها من مثل ذلك ؟ وكل حيوان منها يولد ويسعى ويأكل ويتغذى ويتزوج ويلد وفي بنيته من الاعضاء والآلات ما يفوق آلة الطباعة المشار اليها آنفا إتقانا واحكاما عدا ما فيها من ذرات العقل المدبر والاعصاب التي تشعر وتدبر حركات الحيوانات وتكيفها حسب الاحوال التي تعرض لها حتى تهاجم وتدافع وتفترس وتهضم وتتغذى وتتزاوج وتتوالد

وماهي هذه الحيوانات الميكرسكوبية بالنسبة الى الحيوانات الكبيرة بالنسبة الى الاسماك والطيور والزحافات والى الحيوانات العليا كالهر والاسد والفرس والفيل

بل بالنسبة الى الانسان سيد المخلوقات في هذه الارض ؟ فهل يعقل ان ليس في الكون قوة خالقة مدبرة أوجدت هذه الكائنات أو أوجدت القوى التي توجدها وتدبرها وتدير حركاتها ؟ ؟

هذه هي بعض الآيات البينات التي لا يخفى عقل الانسان عنها وعن ماتدل عليه الا اذا تكلف الاغضاء تكلفا أو كان خاملا لا يفكر ولا يقيس ولا يستنتج اه

* *

(المنار) رأينا ان نعيد هنا ما كنا كتبناه في قوله تعالى «تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار» في معنى ماجاء في تعليق المتطفل عن ضرر الكفر وافساده للعمران ، وبيان ان الايمان بالله تعالى لا يكفي لحفظ العمران من افساد الكفر حتى يضم اليه الايمان بالوحي والرسل عليهم الصلاة والسلام وهو

الاستاذ الامام : طاعة الرسول هي طاعة الله بعينها لانه انما يأمرنا بما يوحيه اليه الله من مصالحنا التي فيها سعادتنا في الدنيا والآخرة وانما يذكر الرسول مع طاعة الله لان من الناس من كانوا يعتقدون قبل اليهودية وبعدها وكذلك بعد الاسلام الى اليوم ان الانسان يمكن أن يستغني بعقله وعلمه عن الوحي ، يقول أحدهم انني أعتقد أن للعالم صانعا عليما حكيما وأعمل بعد ذلك بما يصل اليه عقلي من الخير واجتناب الشر وهذا خطأ من الانسان ولو صح ذلك لما كان في حاجة الى الرسل وقد تقدم في تفسير سورة الفاتحة ان الانسان محتاج بطبيعته النوعية الى هداية الدين وانها هي الهداية الرابعة التي وهبها الله للانسان بعد هداية الحواس والوجدان والعقل فلم يكن العقل في عصر من عصوره كافيا لهداية أمة من أممه ومرقيا له بدون معونة الدين

أقول يرد على هذا من جانب المرتابين والملاحدة : اننا نرى كثيرا من أفراد الناس لا يدينون بدين وهم في درجة عالية من الافكار والآداب وحسن الاعمال التي تنفعهم وتنفع الناس حتى ان العاقل المجرد عن التعصب الديني يتمنى لو كان الناس كلهم مثله بل يسعى كثير من الفلاسفة لجعل الامم مثل هؤلاء الافراد في آدابهم وارتقائهم . وأجيب عن هذا (أولا) بأن الكلام في هداية الجماعات من البشر كالشعوب والقبائل والامم الذين يتحقق بارتقائهم معنى الانسانية في الحياة الاجتماعية سواء كانت بدوية أو مدنية وقد علمنا التاريخ انه لم تقم مدنية في الارض من المدنيات

التي وعاها وعرفها إلا على أساس الدين حتى مدنيات الامم الوثنية كقدماء المصريين والكلدانيين واليونانيين ، وعلمنا القرآن انه مامن أمة إلا وقد خلا فيها نذير مرسل من الله عز وجل لهدايتها فنحن بهذا نرى ان تلك الديانات الوثنية كان لها أصل الهي ثم سرت الوثنية الى أهلها حتى غلبت على أصلها كما سرت الى من بعدهم من أهل الديانات التي بقي أصلها كله أو بعضه على سبيل القطع أو على سبيل الظن . وليس للبشر ديانة يحفظ التاريخ أصلها حفظا تاما الا الديانة الاسلامية وهو مع ذلك قد دون في أسفاره كيفية سريان الوثنية الجلية أو الخفية الى كثير من المنتسبين اليها كالنصيرية وسائر الباطنية وغيرهم ممن غلب عليهم التأويل أو الجهل حتى أنه يوجد في هذا العصر من المنتمين الى الاسلام من لايعرفون من أحكامه الظاهرة غير قليل مما يخالفون به جيرانهم كجواز أكل لحم البقر في الاطراف الشاسعة من الهند وكيفية الزواج ودفن الموتى في بعض بلاد روسيا وغيرها !! فمن علم هذا لايستبعد تحول الديانات الالهية القديمة الى الوثنية

فاتباع الرسل وهداية الدين أساس كل مدنية لان الارتقاء المعنوي هو الذي يبعث على الارتقاء المادي وهانحن أولاء نقرأ في كلام شيخ الفلاسفة الاجتماعيين في هذا العصر (هربرت سبنسر) ان آداب الامم وفضائلها التي هي قوام مدنيتها مستندة كلها الى الدين وقائمة على أساسه وان بعض العلماء يحاولون تحويلها عن أساس الدين و بناءها على أساس العلم والعقل وان الامم التي يجري فيها هذا التحويل لابد ان تقع في طور التحويل في فوضى أدبية لانعرف عاقبتها ولا يحدد ضررها . هذا معنى كلامه في بعض كتبه وقد قال هو للاستاذ الامام في حديث له معه: ان الفضيلة قد اعتلت في الامة الانكليزية وضعفت في هذه السنين الاخيرة من حيث قوي فيها الطمع المادي . ونحن نعلم أن الامة الانكليزية من أشد أمم أوربا تمسكا بالدين مع كون مدنيتها أثبت وتقدمها أعم لأن الدين قوام المدنية بما فيه من روح الفضائل والآداب على أن المدنية الاوربية بعيدة عن روح الديانة المسيحية وهو الزهد في المال والسلطان وزينة الدنيا ، فلولا غلبة بعض آداب الانجيل على تلك الامم لا سرفوا في مدنيتهم المادية اسرافا غير مقترن بشيء من البر وعمل الخير واذاً لبادت

مدنيتهم . ربما . ومن يقل انه سيكون أبعدها عن الدين أقربها الى السقوط والهلاك لايكون مفتاتا في الحكم ولا بعيدا عن قواعد علم الاجتماع فيه ـ فحاصل هذا الجواب الاول عن ذلك الايراد أن وجود أفراد من الفضلاء غير المتدينين لاينقض ماقاله الاستاذ الامام من كون الدين هو الهداية الرابعة لنوع الانسان التي تسوقه الى كماله المدني في الدنيا كما تسوقه الى سعادة الآخرة

وثانيا انه لايمكن الجزم بأن فلانا الملحد الذي تراه عالي الافكار والآداب قد نشأ على الالحاد وتربى عليه من صغره حتى يقال انه قد استغنى في ذلك عن الدين لاننا لانعرف أمة من الامم تربي أولادها على الالحاد واننا نعرف بعض هؤلاء الملحدين الذين يعدون في مقدمة المرتقين بين قومهم ونعلم أنهم كانوا في نشأتهم الاولى من أشد الناس تدينا واتباعا لآداب دينهم وفضائله ثم طرأ عليهم الالحاد في الكبر بعد الخوض في الفلسفة التي تناقض بعض أصول ذلك الدين الذي نشأوا عليه ، والفلسفة قد تغير بعض عقائد الانسان وآرائه ولكن لايوجد فيها مايقبح له الفضائل والآداب الدينية ، أو يذهب بملكاته واخلاقه الراسخة كلها، وانما يسطو الالحاد على بعض آداب الدين كالقناعة بالمال الحلال فيزين لصاحبه ان يستكثر من المال ولو من الحرام كأكل حقوق الناس والقمار بشرط ان يتقي مايجعله حقيرا بين من يعيش معهم أو يلقيه في السجن وكالعفة في الشهوات فيبيح له من الفواحش مالايخل بالشرط المذكور آنفا هذا اذا كان راقيا في أفكاره وآدابه ، وأما غير الراقين منهم فهم الذين لايصدهم عن الفساد في الارض واهلاك الحرث والنسل الا القوة القاهرة ولولا أن دول أوربا قد نظمت فرق المحافظين على الحقوق من الشحنة والشرطة (البوليس والضابطة) أتم تنظيم وجعلت الجيوش المنظمة عونا لها عند الحاجة لما حفظ لأحد عندها عرض ولا مال ، ولعمت بلادها الفوضى والاختلال ، ولقد كانت الحقوق والاعراض محفوظة في الامم من غير وجود هذه القوى المنظمة أيام كان الدين مرعيا في الآداب والاحكام ـ فتبين بهذا ان طاعة الله ورسله لابد منها للسعادة الدنيا ، على ان السياق هنا قد جاء لما يتعلق بالسعادة الدائمة في الحياة الاخرى

الباطنية (*

﴿ وآخر فرقهم البابية البهائية ﴾

وقد اختلف المتكلمون في بيان اغراض الباطنية في دعوتها الى بدعتها فذهب اكثرهم الي ان غرض الباطنية الدعوة الى دين المجوس بالتأويلات التي يتأولون عليها القرآن والسنةواستدلوا على ذلك بأن زعيمهم الاول ميمون بن ديصان كان مجوسيا من سبي الاهواز . ودعا ابنه عبد الله بن ميمون الناس الى دين أبيه واستدلوا أيضا بأن داعيهم المعروف بالبزدهي قال في كتابه المعروف بالمحصول ان المبدع الاول أبدع النفس . ثم ان الاول مدبر العالم بتدبير الكواكب السبعة والطبائع الاربع وهذا في التحقيق معنى قول المجوس ان اليزدان خلق أهرمن وانه مع اهرمن مدبران للعالم غير ان اليزدان فاعل الخيرات وأهرمن فاعل الشرور . ومنهم من نسب الباطنية الى الصابئين الذين هم بحران واستدل على ذلك بأن حمدان قرمط داعية الباطنية بعد ميمون بن ديصان كان من الصابئة الحرانية واستدل أيضا بأن صابئة حران يكتمون أديانهم ولا يظهرونها الا لمن كان منهم . والباطنية أيضا لايظهرون دينهم الالمن كان منهم بعد احلافهم اياه على أن لايذكر اسرارهم لغيرهم .

قال عبدالقاهر : الذي يصح عندي من دين الباطنية انهم دهرية زنادقة يقولون بقدم العالم وينكرون الرسل والشرائع كلها لميلها الى استباحة كل ما يميل اليه الطبع . والدليل على انهم كما ذكرناه ما قرأته في كتابهم المترجم بالسياسة والبلاغ الاكيد والناموس الاعظم وهي رسالة عبد الله بن الحسن القيرواني الى سليمان بن الحسن بن سعيد الجنابي أوصاه فيها بأن قال له : ادع الناس بأن تتقرب اليهم بما يميلون

*) تابع لما نشر في الجزء السابق (ص٨٤٠) نقلا عن كتاب الفرق بين الفرق

اليه وأوهم كل واحد منهم بأنك منهم فمن انست منه رشدا فاكشف له الغطاء واذا ظفرت بالفلسفي فاحتفظ به فعلى الفلاسفة معولنا وانا وإياهم مجمعون على ان نواميس الانبياء (كذا) وعلى القول بقدم العالم لو مايخالفنا فيه بعضهم من ان للعالم مدبرا لا يعرفه . وذكر في هذا الكتاب القول بالميعاد والعقاب وذكر فيه أن الجنة نعيم الدنيا وان العذاب انما هو اشتغال أصحاب الشرائع بالصلاة والصيام والحج والجهاد وقال أيضا في هذه الرسالة : ان أهل الشرائع يعبدون إلها لا يعرفونه ولا يحصلون منه إلا على اسم بلاجسم . وقال فيها أيضا : اكرم الدهرية فانهم منا ونحن منهم . وفي هذا تحقيق نسبة الباطنية الى الدهرية

والذي يؤكد هذا ان المجوس يدعون نبوة زوادشت ونزول الوحي عليه من عند الله تعالى والصابئين يدعون نبوة هرمس وواليس ودور وتيوس وافلاطون وجماعة من الفلاسفة : وسائر أصحاب الشرائع كل صنف منهم مقرون بنزول الوحي من السماء على الذين أقروا بنبوتهم ويقولون ان ذلك الوحي شامل للامر والنهي والخبر عن عاقبة الموت وعن ثواب وعقاب وجنة ونار يكون فيهما الجزاء عن الاعمال السالفة : والباطنية يرفضون المعجزات وينكرون نزول الملائكة من السماء بالوحي والامر بالنهي بل ينكرون أن يكون في السماء ملك وانما يتأولون الملائكة عن دعاتهم الى بدعتهم ويتأولون الشياطين على مخالفيهم والابالسة على مخالفيهم . ويزعمون أن الانبياء قوم أحبوا الزعامة فساسوا العامة بالنواميس والحيل طلبا للزعامة بدعوى النبوة والامامة . وكل واحد منهم صاحب دور مسبع اذا انقضى دوره سبعة تبعه في دور آخر واذا ذكروا النبي والوحي قالوا النبي هو الناطق والوحي أساسه الفاتق والى الفاتق تأويل نطق الناطق على ما تراه يميل اليه هواه فمن صار تأويله الباطن فهو من الملائكة البررة ، ومن عمل بالظاهر فهو من الشياطين الكفرة ، ثم تأولوا لكل ركن من أركان الشريعة تأويلا يورث تضليلا فزعموا ان معنى الصلاة موالاة امامهم والحج زيارته وادمان خدمته . والمراد بالصوم الامساك عن افشاء سر الامام دون الامساك عن الطعام ، والزنا عندهم افشاء سرهم بغير عهد وميثاق . وزعموا أن من عرف معنى العبادة سقط عنه فرضها وتأولوا في ذلك

قوله تعالى «واعبد ربك حتى يأتيك اليقين » وحملوا اليقين على معرفة التأويل.
وقد قال القيرواني في رسالته الى سليمان بن الحسن : اني أوصيك بتشكيك الناس في القرآن والتوراة والزبور والانجيل وبدعوتهم الى إبطال الشرائع والى إبطال المعاد والنشور من القبور و إبطال الملائكة في السماء و إبطال الجن في الارض وأوصيك بأن تدعوهم الى القول بأنه قد كان قبل آدم بشر كثير فان ذلك عون لك على القول بقدم العالم

وفي هذا تحقيق دعوانا على الباطنية انهم دهرية يقولون بقدم العالم ويجحدون الصانع . ويدل على دعوانا عليهم بالقول بابطال الشرائع وأن القيرواني قال ايضا في رسالته الى سليمان بن الحسن : وينبغي أن تحيط علما بمخاريق الانبياء ومناقضاتهم في قولهم كعيسى بن مريم قال لليهود : لا أرفع شريعة موسى ثم رفعها بتحريم الاحد بدلا من السبت وأباح العمل في السبت وأبدل قبلة موسى بخلاف جهتها ولهذا قتلته اليهود لما اختلفت كلمته . ثم قال له : ولا تكن كصاحب الامة المنكوسة حين سألوه عن الروح فقال : « الروح من أمر ربي » (١) لما لم يحضره جواب المسألة . ولا تكن كموسى في دعواه التي لم يكن له عليها برهان سوى المخرقة بحسن الحيلة والشعبذة ولما لم يجد المحق في زمانه عنده برهانا قال له : « لئن اتخذت إلهاً غيري » . وقال لقومه : « أنا ربكم الاعلى » لانه كان صاحب الزمان في وقته . ثم قال في آخر رسالته :

وما العجب من شيء كالعجب من رجل يدعي العقل ثم يكون له أخت أو بنت حسناء وليست له زوجة في حسنها فيحرمها على نفسه وينكحها من اجنبي . ولو عقل الجاهل لعلم انه أحق باخته وبنته من الاجنبي ما وجه ذلك الا أن صاحبهم حرم عليهم الطيبات وخوفهم بغائب لا يعقل وهو الإله الذي يزعمونه وأخبرهم بكون ما لا يرونه أبدا من البعث من القبور والحساب والجنة والنار حتى استعبدهم بذلك عاجلا وجعلهم له في حياته ولذريته بعد وفاته خولا واستباح بذلك أموالهم بقوله « لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى »(٢) فكان أمره معهم

(١) الروح هنا ملك ذكر في القرآن أو الوحي ولا يمكن الجواب عنه بغير هذا
(٢) مطالبتهم بالمودة في القربى أي الاقربين من أولي ارحامه (ص) لا يقتضي جعلهم عبيداً وخولا لهم فكيف والظاهر انه اراد اقاربهم وارحامهم والاستثناء منقطع قطعاً

نقد وأمرهم معه نسيئة . وقد استعجل منهم بدل أرواحهم وأموالهم على انتظار موعود لا يكون . وهل الجنة إلا هذه الدنيا ونعيمها ؟ وهل النار وعذابها الا ما فيه أصحاب الشرائع من التعب والنصب في الصلاة والصيام والجهاد والحج ؟ ثم قال لسليمان بن الحسن في هذه الرسالة : وأنت واخوانك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس وفي هذه الدنيا ورثتم نعيمها ولذاتها المحرمة على الجاهلين المتمسكين بشرائع أصحاب النواميس فهنيئا لكم مانلتم من الراحة عن أمرهم . وفي هذا الذي ذكرناه دلالة على أن غرض الباطنية القول بمذاهب الدهرية واستباحة المحرمات وترك العبادات

ثم أن الباطنية لهم في اصطياد الاغنام ودعوتهم الى بدعتهم حيل على مراتب يسمونها التفرس والتأنيس والتشكيك والتعليق والربط والتدليس والتأسيس والمواثيق بالايمان والعهود وآخرها الخلع والسلخ . فأما التفرس فانهم قالوا : من شرط الداعي الى بدعتهم أن يكون قويا على التلبيس وعارفا بوجوه تأويل الظواهر ليردها الى الباطن ويكون مع ذلك مميزا بين من يجوز أن يطمع فيه وفي اغوائه وبين من لا مطمع فيه . ولهذا قالوا في وصاياهم للدعاة الى بدعتهم لا تتكلموا في بيت فيه سراج يعنون بالسراج من يعرف علم الكلام ووجوه النظر والمقاييس . وقالوا أيضا لدعاتهم : لا تطرحوا بزركم في أرض سبخة : وأرادوا بذلك منع دعاتهم عن اظهار بدعتهم عند من لا تؤثر فيهم بدعتهم كما لا يؤثر البذر في الارض السبخة شيئا . وسموا قلوب أتباعهم الاغنام أرضا زاكية لانها تقبل بدعتهم . وهذا المثل بالعكس أولى وذلك أن القلوب الزاكية هي القابلة للدين القويم والصراط المستقيم وهي التي لا تصدأ بشبه أهل الضلال كالذهب الابريز الذي لا يصدأ في الماء ولا يبلى في التراب ولا ينقص في النار . والارض السبخة كقلوب الباطنية وسائر الزنادقة الذين لا يزجرهم عقل، ولا يردعهم شرع ، فهم أرجاس أنجاس « أموات غير أحياء » « ان هم كالانعام بل هم أضل سبيلا » وأقل حوبلا قد قسم لهم الحظ من الرزق من قسم رزق الخنازير في مراعيها ، وأباح طعمة العنب في براريها « لا يسئل عما يفعل وهم يسألون »

وقالوا أيضا: من شرط الداعي إلى مذهبهم أن يكون عارفا بالوجوه التي تدعى الانصاف،

فليست دعوة الانصاف من وجه واحد بل لكل صنف من الناس وجه يدعى منه الى مذهب الباطن . فمن رآه الداعي مائلا الى العبادات حمله على الزهد والعبادة ثم سأله عن معاني العبادات وعلل الفرائض وشككه فيها . ومن رآه ذا مجون وخلاعة قال له : العبادة بله وحماقة وان الفطنة في نيل اللذات وتمثل له بقول الشاعر

من راقب الناس مات هما وفاز باللذة الجسور

ومن رآه شاكا في دينه أو في المعاد والثواب والعقاب صرح له بنفي ذلك وحمله على استباحة المحرمات واستروح معه الى قول الشاعر الماجن

أأترك لذة الصهباء صرفا لما وعدوه من لبن خمر
حياة ثم موت ثم نشر حديث خرافة يا أم عمرو

ومن رآه من غلاة الرافضة كالسبائية والبيانية والمغيرية والمنصورية والخطابية لم يحتج معه الى تأويل الآيات والاخبار لانهم يتأولونها معهم على وفق ضلالتهم . ومن رآه من الرافضة زيديا أو إماميا مائلا الى الطعن في أخبار الصحابة دخل عليه من جهة شتم الصحابة وزين له بغض بني تيم لان أبا بكر منهم و بغض بني عدي لان عمر بن الخطاب كان منهم وحثه على بغض بني أمية لانه كان منهم عثمان ومعاوية وربما استروح الباطني في عصرنا هذا الى قول اسماعيل بن عباد

دخول النار في حب الوصي وفي تفضيل أولاد النبي
أحب الي من جنات عدن أخلدها بتيم أو عدي

قال عبد القاهر قد أجبنا هذا القائل بقولنا فيه :

اتطمع في دخول جنان عدن وأنت عدو تيم أو عدي
وهم تركوك أشقى من ثمود وكم تركوك أفضح من دعي
وفي نار الجحيم غدًا ستصلى اذا عاداك صديق النبي

ومن ولَّه الداعي مائلا الى أبي بكر وعمر مدحهما عنده وقال لهما حظ في تأويل الشريعة ولهذا استصحب النبي أبا بكر الى الغار ثم الى المدينة وأفضى اليه في الغار تأويل شريعته . فاذا سأله الموالي لابي بكر وعمر عن التأويل المذكور لابي بكر وعمر أخذ عليه العهود والمواثيق في كتمان ما يظهره له . ثم ذكر له على التدريج بعض

التأويلات فان قبلها منه اظهر له الباقي وان لم يقبل منه التأويل الاول ربطه في الباقي وكتمه عنه وشك الغر من أجل ذلك في أركان الشريعة ٠

والذي يروج مذهب الباطنية أصناف ٠ أحدها العامة الذين قلت بصائرهم بأصول العلم والنظر كالنبط والاكراد وأولاد المجوس ٠ والصنف الثاني الشعوبية الذين يرون تفضيل العجم على العرب ويتمنون عود الملك الى العجم ٠ والصنف الثالث اغثام بني ربيعة من أجل غضبهم على مضر لخروج النبي منهم ٠ ولهذا قال عبد الله بن حازم السلمي في خطبته بخراسان : ان ربيعة لم تزل غضابا على الله مذ بعث نبيه من مضر ٠ ومن أجل حسد ربيعة لمضر بايعت بنو حنيفة مسيلمة الكذاب طمعا في أن يكون في بني ربيعة نبي كما كان من بني مضر ٠ فاذا استأنس الاعجمي الغر أو الربيعي الحاسد المطن بقول الباطني قومك أحق بالملك من مضر سأله عن السبب في عود الملك الى قومه فاذا سأله عن ذلك قال له ان الشريعة المضرية ﻟ[illegible]اية وقددنا انقضاؤها وبعد انقضائها يعود الملك اليكم ٠ ثم ذكر له تأويل إنكار شريعة الاسلام على التدريج ٠ فاذا قبل منه ذلك صار ملحدا خرميا واستثقل العبادات واستطاب استحلال المحرمات ٠ فهذا بيان التفرس منهم

ودرجة (التأنيس) قريبة من درجة التفرس عندهم وهي تزيين ماعليه الانسان من مذهبه في عينه ثم سؤاله بعد ذلك عن تأويل ماهو عليه وتشكيكه إياه في أصول دينه فاذا سأله المدعو عن ذلك قال :علم ذلك عند الامام ووصل بذلك منه الى درجة التشكيك حتى صار المدعو الى اعتقاده ان المراد بالظواهر والسنن غير مقتضاها في اللغة وهان عليه بذلك ارتكاب المحظورات وترك العبادات

(والربط) عندهم تعليق نفس المدعو بطلب تأويل أركان الشريعة. فاما ان يقبل منهم تأويلها على وجه يؤول الى رفعها وإما أن يبقى على الشك والحيرة فيها ٠

ودرجة (التدليس) منهم قولهم للغر الجاهل بأصول النظر والاستدلال: ان الظواهر عذاب وباطنها فيه الرحمة وذكر له قوله في القرآن (فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب) فاذا سألهم الغر عن تأويل باطن الباب قالوا :جرت سنة الله تعالى في أخذ العهد والميثاق على رسله ٠ ولذلك قال «وإذ أخذنا من النبيين

ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنامنهم ميثاقا غليظا » وذكر له قوله « ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا » فاذا حلف الغر لهم بالايمان المغلظة و بالطلاق والعتق و بتسبيل الاموال فقد ربطوه بها وذكروا له من تأويل الظواهر مايؤدي الى رفعها بزعمهم . فان قبل الاحمق ذلك منهم دخل في دين الزنادقة باطنا واستتر بالاسلام ظاهرا . وإن نفر الحالف عن اعتقاد تأويلات الباطنية الزنادقة كتمها عليهم لانه قد حلف لهم على كتمان ما أظهروه له من أسرارهم . واذا قبلها فقد حلفوه وسلخوه عن دين الاسلام وقالوا له حينئذ : ان الظاهر كالقشر والباطن كاللب واللب خير من القشر . قال عبدالقاهر:

حكى له بعض من كان دخل في دعوة الباطنية ثم وفقه الله تعالى لرشده وهداه الى حل ايمانهم انهم لما وثقوا منه بايمانه قالوا له: ان المسمين بالانبياء كنوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد وكل من ادعى النبوة كانوا أصحاب نواميس ومخاريق أحبوا الزعامة على العامة فخدعوهم بنيرنجات واستعبدوهم بشرائعهم . قال هذا الحاكي لي ثم ناقض الذي كشف لي هذا السر بأن قال له : ينبغي ان تعلم ان محمد بن اسماعيل بن جعفر هو الذي نادى موسى بن عمران من الشجرة فقال له « اني أنا ربك فاخلع نعليك » قال فقلت سخنت عينك تدعوني الى الكفر برب قديم خالق للعالم ؟ ثم تدعوني مع ذلك الى الاقرار بربوبية انسان مخلوق وتزعم انه كان قبل ولادته إلها مرسلا لموسى ؟ فان كان موسى كذابا فالذي زعمت انه أرسله أكذب . فقال لي انك لا تفلح أبدا وندم على افشاء أسراره الي وتبت من بدعتهم . فهذا بيان وجه حيلهم على اتباعهم

وأما أيمانهم فان داعيهم يقول للحالف : جعلت على نفسك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسله وما أخذ الله على النبيين من عهد وميثاق انك تستر ما تسمعه مني وماتعلمه من أمري ومن امر الامام الذي هو صاحب زمانك وامر أشياعه وأتباعه في هذا البلد وفي سائر البلدان وأمر المطيعين له من الذكور والاناث فلا تظهر من ذلك قليلا ولا كثيرا ولا تظهر شيئا يدل عليه من كتابة أو اشارة إلا ما أذن لك فيه الامام صاحب الزمان أو أذن لك في اظهاره المأذون له في دعوته فتعمل في ذلك حينئذ بمقدار مايؤذن لك فيه . وقد جعلت على نفسك الوفاء بذلك وألزمته نفسك في

حالتي الرضا والغضب والرغبة والرهبة قال نعم . فاذا قال نعم قال له : وجعلت على نفسك أن تمنعني وجميع من أسميه لك مما تمنع منه نفسك بعهد الله تعالى وميثاقه عليك وذمته وذمة رسله وتنصحهم نصحا ظاهرا و باطنا ، وأن لا تخون الامام وأولياءه وأهل دعوته في انفسهم ولا في أموالهم . وانك لا تتأول في هذه الايمان تأويلا ولا تعتقد ما يحلها . وانك ان فعلت شيئا من ذلك فأنت بريء من الله ورسله وملائكته ومن جميع ما أنزل الله تعالى في كتبه . وانك ان خالفت شيئا مما ذكرناه لك فلله عليك ان تحج الى بيته مئة حجة ماشيا نذرا واجبا ، وكل ما تملكه في الوقت الذي انت فيه صدقة على الفقراء والمساكين ، وكل مملوك يكون في ملكك يوم تخالف فيه أو بعده يكون حرا ، وكل امرأة لك الآن أو يوم تخالفه أو تتزوجها بعد ذلك تكون طالقا منك ثلاث طلقات والله تعالى الشاهد على نيتك وعقد ضميرك فيما حلفت به . فاذا قال نعم قال له : كفى الله شهيدا بيننا وبينك

فاذا حلف الغر بهذه الايمان ظن انه لا يمكن حلها ، ولن يعلم الغر انه ليس لايمانهم عندهم مقدار ولا حرمة وانهم لا يرون فيها ولا في حلها اثما ولا كفارة ولا عارا ولا عقابا في الآخرة . وكيف يكون لليمين بالله وبكتبه ورسله عندهم حرمة وهم لا يقرون بالله قديم بل لا يقرون بحدوث العالم ولا يثبتون كتابا منزلا من السماء ولا رسولا ينزل عليه الوحي من السماء . وكيف يكون لايمان المسلمين عندهم حرمة ومن دينهم أن الله الرحمن الرحيم انما هو زعيمهم الذي يدعون اليه ؟ . ومن مال منهم الى دين المجوس زعم ان الاله نور بازائه شيطان قد غلبه ونازعه في ملكه . وكيف يكون لنذر الحج والعمرة عندهم مقدار وهم لا يرون للكعبة مقدارا ويسخرون بمن يحج ويعتمر ؟ . وكيف يكون للطلاق عندهم حرمة وهم يستحلون كل امرأة من غير عقد ؟ فهذا بيان الايمان عندهم

فأما حكم الايمان عند المسلمين فانا نقول : كل يمين يحلف بها الحالف ابتداء بطوع نفسه فهو على نيته وكل يمين يحلف بها عند قاض أو سلطان يحلفه ينظر فيها فان كانت يمينا في دعوى لمدع شيئا على الحالف المنكر وكان المدعي

ظالما للمدعي عليه فيمين الحالف على نيته ، وان كان المدعي محقا والمنكر ظالما للمدعي فيمين المنكر على نية القاضي أو السلطان الذي أحلفه . ويكون الحالف حانثا في يمينه .

واذا صحت هذه المقدمة فالبحث عن دين الباطنية اذا قصد اظهار بدعتهم للناس أو أراد النقض عليهم معذور في يمينه ويكون يمينه على نيته . فاذا استثنى بقلبه مشيئة الله تعالى فيها لم تنعقد عليه أيمانه ولم يحنث فيها باظهاره أسرار الباطنية للناس ولم تطلق نساؤه ولا تعتق مماليكه ولا تلزمه صدقة بذلك . وليس زعيم الباطنية عند المسلمين إماما، ومن أظهر سره لم يظهر سر إمام وانما أظهر سر كافر زنديق . وقد جاء في الحديث المأثور « اذكروا الفاسق بما فيه يحذره الناس » فهذا بيان حيلتهم على الاغمار بالايمان

فأما احتيالهم على الاغمار بالتشكيك فن جهة أنهم يسألونهم عن مسائل من أحكام الشريعة يوهمونهم فيها خلاف معانيها الظاهرة . وربما سألوهم عن مسائل في المحسوسات يوهمون ان فيها علوما لا يحيط بها الا زعيمهم . فمن مسائلهم قول الداعي منهم للغر : لمَ صار للانسان أذنان ولسان واحد؟ ولم صار للرجل ذكر واحد وخصيتان ؟ ولم صارت الاعصاب متصلة بالكبد والشرايين متصلة بالقلب ؟ ولم صار الانسان مخصوصا بنبات الشعر على جفنه الأعلى والأسفل وسائر الحيوان ينبت الشعر على جفنه الأعلى دون الأسفل ؟ ولم صار ثدي الانسان على صدره . وثدي البهائم على بطونها ؟ ولماذا لم يكن للفرس غدد (١) ولا كرش ولا كعب ؟ وما الفرق بين الحيوان الذي يبيض ولا يلد ولا يبيض ؟ وبماذا يميز بين السمكة النهرية والسمكة البحرية ؟ ونحو هذا كثير يوهمون ان العلم بذلك عند زعيمهم .

ومن مسائلهم في القرآن سؤالهم عن معاني حروف الهجاء في أوائل السور كقوله « الم » و« حم » و « طس » و « يس » و « طه » و « كهيعص » وربما قالوا ما معنى كل حرف من حروف الهجاء ؟ ولم صارت حروف الهجاء تسعة وعشرين حرفا ولم عجم بعضها بالنقط وخلا بعضها من النقط ؟ ولم جاز وصل بعضها بما بعدها بحرف؟؟ وربما قالوا للغر : ما معنى قوله « ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية : » ولم

(١) الغدد جمع غدة وهي كل عقدة في الجسد أطاف بها شحم ، وكل قطعة صلبة بين العصب

جعل الله أبواب الجنة ثمانية ، وأبواب النار سبعة ؟ وما معنى « عليها تسعة عشر » ؟ وما فائدة هذا العدد ؟

وربما سألوا عن آيات وأوهموا فيها التناقض وزعموا انه لا يعرف تأويلها الا زعيمهم كقوله « فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان » مع قوله في موضع آخر « فوربك لنسألنهم أجمعين »

ومنها مسائلهم في أحكام الفقه كقولهم : لم صارت صلاة الصبح ركعتين والظهر أربعا والمغرب ثلاثا ؟ ولم صار في كل ركعة ركوع واحد وسجدتان ، ولم كان الوضوء على أربعة أعضاء والتيمم على عضوين ، ولم وجب الغسل من المني وهو عند اكثر المسلمين طاهر ولم يجب الغسل من البول مع نجاسته عند الجميع ، ولم أعادت الحائض ما تركت من الصيام ولم تعد ما تركت من الصلاة ، ولم كانت العقوبة في السرقة بقطع اليد وفي الزنا بالجلد ، وهلا قطع الفرج الذي به زنى في الزنا كما قطعت اليد التي بها سرق في السرقة ،

فاذا سمع الغر هذه الاسئلة ورجع اليهم في تأويلها قالوا له : علمها عند إمامنا وعند المأذون في كشف أسرارنا . فاذا تقرر عند الغر أن إمامهم أو مأذونه هو العالم بتأويله اعتقد أن المراد بظواهر القرآن والسنة غير ظاهرها فأخرجوه بهذه الحيلة عن العمل بأحكام الشريعة . فاذا اعتاد ترك العبادة واستحل المحرمات كشفوا له القناع وقالوا له : لو كان لنا إله قديم غني عن كل شيء لم يكن له فائدة في ركوع العباد وسجودهم ولا في طوافهم حول بيت من حجر ولا في سعي بين جبلين . فاذا قبل منهم ذلك فقد انسلخ عن توحيد ربه وصار جاحدا له وزنديقا

قال عبدالقاهر : والكلام عليهم في مسائلهم التي يسألون عنها عند قصدهم الى تشكيك الاغمار في أصول الدين من وجهين (احدهما) ان يقال لهم : إنكم لا تخلون من أحد أمرين إما أن تقروا بحدوث العالم وتثبتوا له صانعا قديما عالما حكيما يكون له تكليف عباده ماشاء كيف شاء وإما أن تنكروا ذلك وتقولوا بقدم العالم ونفي الصانع . فان اعتقدتم قدم العالم ونفي الصانع فلا معنى لقولكم : لم فرض الله كذا ولم حرم كذا ولم خلق كذا ولم جعل كذا على مقدار كذا اذ لم تقروا بالله فرض شيئا

أوحرّمه أو خلق شيئا أو قدره · و يصير الكلام بيننا و بينكم كالكلام بيننا و بين الدهرية في حدوث العالم وان أقررتم بحدوث العالم وتوحيد صانعه وأجزتم له تكليف عباده ماشاء من الاعمال كان جواز ذلك جوابا لكم عن قولكم : لم فرض ولم حرم كذا لاقراركم بجواز ذلك منه إن أقررتم به وبجواز تكليفه · وكذلك سؤالهم عن خاصية المحسوسات يبطل إن أقروا بصانع أحدثها وان أنكروا الصانع فلا معنى لقولهم : لم خلق الله ذلك ؟ مع انكارهم ان يكون لذلك صانع قديم ·

والوجه الثاني من الكلام عليهم فيما سألوا عنه من عجائب خلق الحيوان ان يقال لهم : كيف يكون زعماء الباطنية مخصوصين بمعرفة علل ذلك وقد ذكرته الاطباء والفلاسفة في كتبهم وصنف ارسطاطاليس في طبائع الحيوان كتابا · وماذكرت الفلاسفة من هذا النوع شيئا الا مسروقا من حكماء العرب الذين كانوا قبل زمان الفلاسفة، من العرب القحطانية والجرهمية والطسمية وسائر الاصناف الحميرية · وقد ذكرت العرب في أشعارها وأمثالها جميع طبائع الحيوان ولم يكن في زمانها باطني ولا زعيم للباطنية · وانما أخذ ارسطاطاليس الفرق بين مايلد وما يبيض من قول العرب في أمثالها كل شرقاء ولود وكل صكاء بيوض، ولهذا كان الخفاش من الطير ولودا لا بيوضا لان لها اذنا شرقاء وكل ذات اذن صكاء بيوض كالحية والضب والطيور البائضة

(ثم ذكر هنا كلاما طويلا في طبائع الحيوان والنبات الذي عرفته العرب ثم ختم الكلام بقوله) :

فهذا وماجرى مجراه من خواص الحيوانات وغيرها قد عرفته العرب في جاهليتها بالتجارب من غير رجوع منها الى زعماء الباطنية · بل عرفوه قبل وجود الباطنية في الدنيا باحقاب كثيرة · وفي هذا بيان كذب الباطنية في دعواها ان زعماءها مخصوصون بمعرفة أسرار الاشياء وخواصها وقد بينا خروجهم عن جميع فرق الاسلام بما فيه كفاية والحمد لله على ذلك · انتهى

باب المراسلة والمناظرة

(الخلافة الاسلامية والجامعة العثمانية)(*)

٣

« لتفتحن القسطنطينية ولنعم الامير
أميرها ولنعم الجيش جيشها »
حديث شريف

كان المرحوم عبد الرحمن الكواكبي وهو ذلك العالم الحر والمفكر الابي يشكو من حالة الدولة السابقة فارتاح الانجليز الى مطالبته بالخلافة العربية هو عن حسن نية و بدون إنعام النظر السياسي وهم عن خبث طوية لأن تقهقر الدولة لم يكن قاصرا عليها فقط بل كان ماسا بمصالحهم ، الف المرحوم كتابه « أم القرى » ولو أنعم نظره السياسي لرأى الضرر الذي يلحق العالم الاسلامي بوجه عام والشرق الادنى بوجه خاص من جراء هذا المسعى . ولم يقتصر الانجليز عند حد استغواء هذا العالم من الذين لايلمون كثيرا بالاعتبارات السياسية والظروف الخصوصية بل ان جرأتهم فاقت حد التصور واللياقة اذ كانوا لايعترفون بالقاضي الشرعي في الصومال الا اذا أقره شريف مكة . ومثل هذا التغرير كادوا يضعون غشاوة على بصيرة بعض أمراء الشرق لايقدر أحكام وضعها الا السياسة الانجليزية .

واني آتي هنا على مثالين اثبت بهما جليا كيف ان الانجليز يحاربون الخلافة الاسلامية ثم يستفيدون بادعائهم صداقة (أمير المؤمنين) وشيخ الاسلام سياسيا ولو بالتزوير والتزييف

يعلم الكثيرون بالحركة الوطنية المتأججة نارها في الهند . ولما كان الانجليز في حسن تفاهم مع العثمانيين زوروا كتابات باسم الخليفة وسماحة شيخ الاسلام وادعوا فيها انهما يوصيان مسلمي الهند بالولاء والاخلاص للدولة الانجليزية . واقرب هذه

(*) تابع لما نشر في الجزء العاشر (ص٨٥٧) بقلم علي افندي فهمي محمد

الكتابات ذلك الحديث الذي عزاه مكتب التيمس الى سماحة شيخ الاسلام في الآستانة الذي نفى مغزاه رسميا وفي ذلك الوقت نفسه كانوا يهربون الاسلحة الى بلاد العرب فضبطت أخيرا عند الشواطئ وانضح من التحقيق انها من صنع يد الانجليز وكان لسان حالهم يقول انه ذلك ينافي صداقتهم للدولة العلية صاحبة الخلافة الاسلامية

هذه القوة الاسلامية السياسية التي يحللها الانجليز لانفسهم ويحرمونها على غيرهم ترتعد فرائصهم منها حتى ان كثيرا من جرائدهم الاستعمارية كالديلي تلغراف ونحوها لما هنأت جمعية الاتحاد والترقي جلالة السلطان بقولها « الى صاحب الخلافة والجلالة أمير المؤمنين وسلطان العثمانيين » زأرت وزمجرت وجردت قول العدوان وشهرت وقالت ان مرسلي التلغراف متشبعون بمبدإ الجامعة الاسلامية الشديدة المقوتة! وهكذا السياسة الانجليزية تلتوي علينا وتستقبح حين ترتوي منا وتنتفخ!

نحن نود ابقاء الخلافة الاسلامية في آل عثمان ونعمل لذلك بعامل المصلحة وذلك لان الدولة العثمانية هي أقوى ممالك الاسلام في الحال وستبقى كذلك في الاستقبال وهي التي بيدها الحرمان الشريفان فينبغي أن تكون الخلافة في أيدي العثمانيين حقنا للدماء ومراعاة للمصلحة العامة. وليس لها من منازع قوي يؤمل أو يخشى نجاحه وانما الدول الاجنبية تفرق بيننا ونفري بعضنا ببعض حتى تنهك قوانا الفرعية وتضعف السلطة المركزية و الواجب على كل عاقل مخلص ان يجعل هذا السبب نصب عينيه.

قال حضرة الكاتب الاسلامي الكبير محمود بك سالم : « جاء اسماعيل باشا فقيم سعيدا في سياسته الفرنسوية فبالغ في مجاملة نابليون الثالث الذي افهمه انه سيساعده على الوصول الى كرسي الملكية المستقلة فأكثر من الترف والبذخ ليعلو على الاكاسرة والقياصرة وجبابرة الفراعنة ووزع الهدايا الفاخرة على ملوك أوربا وملكاتها وعلمائها وكتابها ووزرائها وأغنيائها وصعاليكها بطريقة أبكت العقلاء وأضحكت الجهلاء . وما زال كذلك حتى انكسر نابليون الثالث سنة ١٨٧٠ فنبذ فرنسا وتملق بانجلترا فألهم أنه لا يكون ملكا مستقلا الا اذا قارب عدد رعاياه عدد رعايا السلطان نفسه ومن هنا ابتدأت حروب السودان والصومال والحبش ودارفور وأوغنده وزنجبار على غير جدوى للمصريين بل لفائدة الانجليز الذين أرسلوا صموئيل بيكر

باشا وغردون باشا والمرسلين لينشروا المدنية على شواطئ النيل الابيض والنيل الازرق تمهيدا لسياستهم الكبرى . وكل عاقل نظر الى قوة الجيش المصري وسعة تلك الاقطار والى النفقات الباهظة التي أنفقت جزافا والى الرجال الذين ماتوا هدرا ويعدون بمئات الالوف علم مقدار ما لحكامنا من قصر النظر وسوء التدبير »

هذا شيء قليل جدا من كثير جدا مما يبثه الاجانب فينا من عوامل الشقاق والخلاف فعسى أن تزول هذه البواعث النفسانية التي أدت بنا جميعا الى التهلكة .

واني أتذكر انه لما زار المرحوم مظفر الدين شاه إيران الآستانة في أواخر أيامه ذكرت جرائدها انه لما قابل السلطان قبل يده فلما انتهى اليه هذا الخبر قال « انها نبهتني الى واجب فاتني أداؤه لان السلطان هو أمير المؤمنين شرعا » فأين هذه الروح العالية والنفس الكبيرة من محمد علي شاه ايران السابق الذي كان يحتج بشدة على التجاء الاحرار الى السفارة العثمانية ويتغافل عن سفارتي روسيا وانجلترا اللتين سلبتاه بلاده ولم تنفعاه يوم ان ثل عرشه وقد كان يقول: إن روسيا أحب الممالك الى قلبه . اللهم انك على كل شيء قدير تخرج الظلمات من النور .

ولا أدري ما الذي ينفر العثمانيين غير المسلمين من الخلافة الاسلامية وهي كما شرحناها لا تنافي معنى الجامعة العثمانية الوطنية ولا تضر بهم في شيء ما بل بالعكس تجعل لهم منزلة خصوصية في سائر انحاء العالم لكونهم عثمانيين من رعايا صاحب الخلافة . ان العثماني غير المسلم الذي يتأفف من الخلافة الاسلامية اما ان يكون غير صادق في عثمانيته واما أن يكون قصير النظر السياسي . قال كاتب رسائل الاسلام والمدنية لم ي[illegible] ا الارتباط العجيب تلك الفتوحات السريعة التي قام بها المسلمون على عهد الدول العربية والتركية بيد أن الدول الاسلامية الاولى حاولت أن تفصل بين تينك الصفتين المدنية والدينية فكان عصر الانفصال مبدأ انحطاط . ولا تزال الى اليوم خلافة السلطان الاعظم رابطة تربط الشعوب الاسلامية من غير الاتراك بالدولة العلية فتكون بهم قوتها واذا جردت السلطان من هذا اللقب لا تلبث ان ترى الدولة العلية تنحل وتصبح دولة ثانوية .

لذلك اكرر القول بأن أنصح لجميع العثمانيين بالتآزر والتماسك فان يد الله مع

الجماعة ولا يهولنهم القول بالخلافة الاسلامية التي مع احترامها لشعائرهم الدينية تكسبهم كثيرا من المزايا السياسية والاقتصادية واني أوصيهم بما أوصاهم به شاعر مصر حافظ ابراهيم في تهنئته إياهم بالدستور :

فتفيأوا ظل الهلال فانه جم المبرة واسع الغفران
يرعى لموسى والمسيح وأحمد حق الولاء وحرمة الأديان
فخذوا المواثق والعهود على هدى التــوراة والانجيل والفرقان

وما قاله شوقي بك شاعر الامير :

أما الخلافة فهي حائط بيتكم حتى يبين الحشر عن أحواله
اخذت بحــد المشرفيّ ونالها لكم القنا بقصاره وطواله
طمع القريب أو البعيد بنيلها طمع الفتى من دهره بمحاله
ما الذئب مرتدا على ليث الشرى في الغاب معتديا على اشباله
بأقل عقلا وهي في أيمانكم ممن يحاول أخــذها بشماله

واني بما قدمته من الحجج التاريخية والنظريات السياسية أومل الا يكون لمساعي أولئك الاعداء السياسيين المتلبسين بجرمهم بوشاح الصداقة الكاذبة ادنى نصيب من الالتفات فلا تهنوا ولا تحزنوا ولا يغتب بعضكم بعضا واعملوا بنص الحديث الشريف :
« المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » اه

(المنار) نشرنا هذه الرسالة كما هي ولم نتعرض لتخريج ما ذكر من الاحاديث فيها ولا للبحث في مسائلها ولكننا نقول ان أفكار الكواكبي السياسية كانت مبنية على قواعد منها اليأس من الدولة العلية ولم يكن يريد أن يكون الخليفة القرشي الذي يخلف الخليفة التركي سلطانا حاكما سائسا للعرب أو لغيرهم وانما كان رأيه أن يكون رئيسا دينيا ينظر في مصالح المسلمين الروحية الادبية ويرقيها ، واكثر الذين يتكلمون عن سياسته لايعرفون منها شيئا ولم يكن للانكليز ولا لغيرهم من الاجانب رأي ولا علم بتأليفه لسجل جمية أم القرى فانه كتبه في حلب وزاد فيه بمصر ولم يكن يعلم بذلك أحد الا افراد من العثمانيين كصالح أفندي جمال من حزب تركيا الفتاة . وقد ذكرنا في ترجمته في المجلد الخامس اننا لم نكن موافقين له في جميع آرائه السياسية

احياء اللغة العربية

﴿ وطبع نوادر مصنفاتها ﴾

كانت العلوم العربية والآداب العربية في عهد الدول العربية في الشرق والغرب والجنوب والشمال زينة الدنيا وأساس عمرانها ومدنيتها وعنها أخذت أوربا مدنيتها وعلومها وفنونها وارتقت فيها بعد أن تدلى العرب وضعفوا بذهاب دولهم وتغلب الاعاجم عليها ، وانما ترتقي العلوم والفنون بتأييد الدول القوية لها ٠

لم يقم في الشرق الاسلامي بعد الدول العربية الاصلية والمستعربة دولة قوية الا الدولة العثمانية ، ومن سوء حظ الشرق والاسلام ان كان الترك المؤسسون لها من أهل البداوة ولم يجعلوا عاصمتهم في مدينة من مدن الحضارة العربية كبغداد والشام ومصر فيتعربوا ولو فعلوا لتجددت الحضارة العربية الاسلامية واستمرنموها وكنا نحن السابقين لاوربا ٠ لكنهم لم يفعلوا ذلك جهلا منهم لارغبة في جعل لغتهم هي لغة العلم والحضارة لان لغتهم بقيت على بداوتها لم تدون ولم يوضع لها نحو ولاصرف ولا بيان في عهد قوتهم وعظمتهم وانما حاولوا ذلك في هذا العصر فالدولة العثمانية كانت سبب ضعف اللغة العربية بجهلها لاتعمدا منها اذ لم تكن دولة علم ولاحضارة بل دولة حرب وقوة

ويحاول كثير من ساستها اليوم ان يحيوا لغتهم ويجعلوها اللغة الطبيعية للشعوب العثمانية كلها ولو كان ذلك ممكنا لكانوا معذورين في عرف السياسة الجنسية ، ومعذولين في حكم الديانة الاسلامية ، ويرى كثير منهم أن اللغة العربية هي العقبة الكؤد في طريق مقصدهم هذا فهم يحاولون إماتة هذه اللغة وان كان موتها موتا للدين الاسلامي (وحاش لله أن يميته) وهذه السياسة المبنية على العصبية الجنسية

الجاهلية يمنع بعض حكام الترك العرب من إنشاء المدارس في بلادهم كما فعل متصرف نابلس في منع فضلاء وجهائها من إنشاء مدرسة فيها وحجته في ذلك انهم يحبون اللغة العربية فتضعف اللغة التركية عندهم . ولا نذكر هنا ما فعلوه في المحاكم وغيرها من مصالح الحكومة في الولايات العربية فأوجب الشكوى والغط

وأيت كثيرا من العرب العثمانيين خائفين على اللغة العربية أن تموت بمقاومة بعض حكامهم لها ويجهل هؤلاء أن الله تعالى قد سخر لهذه اللغة أمم الافرنجة يتدارسون ويحيون موات علومها وآدابها ، وان لها دولة هي أقوى من الدولة العلية حضارة ـ وان كانت دونها جندية وهي تحت سيادتها دون سياستها وادارتها ـ ألا وهي الحكومة المصرية العربية

التعليم في الازهر وملحقاته من المدارس الدينية في هذه البلاد كله باللغة العربية ، وجميع مدارس الحكومة والمدارس الاهلية فيها تدرس اللغة العربية وقلما بعض الفنون بها و بعضها باحدى لغتي العلم في الغرب الانكليزية والفرنسية وقد شرعت الحكومة تستعد لجعل تدريس جميع الفنون بالعربية

وقد شرعت في هذا العام باحياء المصنفات العربية القديمة في الفنون المختلفة بطبعها في مطبعتها المشهورة ، واسترشدت في ذلك بصديقنا أحمد زكي بك الكاتب الثاني لمجلس النظار لما له من الخبرة الواسعة في هذا الباب ، وقد جاءنا منها الرسالة الآتية في بيان هذا المشروع وها هي ذي بنصها :

الحكومة الخديوية المصرية

« مجلس النظار »

﴿ إحياء الآداب العربية ﴾

اجتمع مجلس النظار بسراي رأس التين بالاسكندرية في يوم الاثنين ٢١ شوال سنة ١٣٢٨ (٢٤ أكتوبر سنة ١٩١٠)

تحت رئاسة الجناب الخديوي المعظم عباس حلمي الثاني

بحضور صاحب العطوفة محمد سعيد باشا رئيس المجلس وناظر الداخلية
واصحاب السعادة سعد زغلول باشا ناظر الحقانية
وحسين رشدي باشا ناظر الخارجية
واسماعيل سري باشا ناظر الاشغال العمومية والحربية
واحمد حشمت باشا ناظر المعارف العمومية
ويوسف سابا باشا ناظر المالية
وحضر الجلسة جناب المستر هنري بول هرفي المستشار المالي
كاتب السر الثاني احمد زكي بك

اطلع المجلس على المذكرة المقدمة من صاحب العطوفة محمد سعيد باشا رئيس المجلس وعلى التقرير الذي كتبه صاحب السعادة احمد حشمت باشا ناظر المعارف العمومية عن الوسائل المقتضى اتخاذها لاحياء الآداب العربية بالديار المصرية

وبعد المفاوضة قرر المجلس الموافقة على جميع الاقتراحات التي تضمنتها تلك المذكرة وتكليف نظارتي المعارف العمومية والمالية بتنفيذها رئيس المجلس
كاتب السر (احمد زكي) (محمد سعيد)

مذكرة

﴿ مرفوعة الى مجلس النظار ﴾

كان من دأب الحكومات التي تناوبت الحكم على وادي النيل منذ الزمان القديم طلب المباراة في ميادين السبق لرفع منار العلوم ونشر رايات العرفان سعيا وراء الفخر المخلد والمجد المؤبد وكان من همها على الاخص توجيه عنايتها الى اعلاء شأن اللغة العربية وآدابها بما كانت تبذله من الرغائب لانبعاث الهمم من رقدتها وانعقاد العزائم على خدمتها وتعضيد أهل العلم وذوي الفضل على دوام البحث والاستنباط

غير أن نوب الزمان وطوارئ الحدثان تناولت هذه العناية فيما تناولته فاخمدت نارها وحجبت أنوارها فانحلت العزائم وتلاشت الهمم وكادت محنة الدهر تقضي

على ملكة الاختراع والابتكار بين أهل هذه الديار وتقدم ميل النفس الى التصنيف والتأليف ثم تفرع على ذلك اندثار دور الكتب واندراس آثارها بينما بعد ان كانت قائمة على الدهر تشهد للأمة المصرية بعلو كعبها وجميل أثرها في هذا الباب

وما زالت يد الزمن تعبث وتدمر حتى سخر الله لهذه البلاد محيي مواتها و باعث رفاتها ذلك الرجل العظيم محمد علي الكبير رأس هذه الاسرة المالكة فزاوج بين ترقية الامة المصرية ماديا وأدبيا ومزج بين اصلاحها معاشا ومعادا حتى منحه التاريخ لقبا ينطبق عليه بكل حق وعدل وهو « محيي مصر »

ثم كانت سيرة خلفائه الفخام من بعده على نحو مارسم وقدر فكان من حسنات المغفور له اسماعيل باشا ان جمع من هنا وهناك ما ابقته عوادي الايام من حطام تلك الدور النفيسة دور الكتب القيمة فتلقف شواردها وضم اشتاتها وأسس دار الكتب الخديوية القائمة الآن وأفاض عليها هو وابنه الخديو توفيق على الاخص مايضمن طول بقائها ودوام الانتفاع بها فكانت غلة العقار المحبوس عليها كفيلة بتقدم هذا المعهد وارتقائه.

ولكنا لانزال نرى الى اليوم ان دار الكتب هذه لم تتجاوز في مهمتها المطلوبة منها وهي نشر العلوم والمعارف حد الاستعداد والتأهب للعمل . وقد آن الوقت الذي يجب ان تخطو فيه خطوتها الواسعة في هذا السبيل وتبرز للملأ من جليل الاعمال مافيه سرعة ارتقاء الآداب والعلوم

وأمامنا اليوم فرصة حاضرة حانت لنا بالنظر في المذكرة التي وضعها حضرة احمد بك زكي الكاتب الثاني لاسرار مجلس النظار وضمنها ماعن له من وجوه الاصلاح وضروب الوسائل التي من شأنها احياء الآداب العربية بديار مصر. وقد ذيلها بنبذ قصيرة عن عدة كتب ومصنفات بخط اليد توصل الى نقل صورها بطريقة التصوير الشمسي في القسطنطينية والبلاد الاجنبية .

وقد مضى على واضع هذه المذكرة زهاء عشرين سنة وهو يوالي البحث والتنقيب عن انواع الطرق الموصلة الى تعميم المعارف واستنهاض الهمم لاجتياز باب العمل في فنون الاصلاح المطلوب لاحياء العلوم والآداب العربية . ولذلك

قابل اصحاب الحل والعقد ما شرحه من سديد الآراء ومحكم الوسائل بعين الرضا والقبول . وعهدت الحكومة الخديوية الى صاحب السعادة احمد حشمت باشا ناظر المعارف العمومية ان ينظر في الامر ويقرر فيه ما يرشدها الى الطريق القويم في هذا الباب

ولست أرى وسيلة لشرح مارآه سعادته في هذا الموضوع افضل من إلفات مجلس النظار الى نص التقرير الجليل الذي يشير فيه الى وجوب العمل على حسب الخطة التي رسمها صاحب المفكرة مع بيان الوسائل الفعالة لابراز هذا المشروع الى حيز الوجود ولقد بادرت بابلاغ هذا التقرير الى نظارة المالية مشفوعا برأيي في الموافقة عليه من جميع الوجوه مع تأييد كل ما أشار به سعادته من الاقتراحات النافعة لتجديد الآداب العربية

ولما درس سعادة سابا باشا ناظر المالية هذا المشروع كتب الى كتابا تاريخه ١٨ اكتوبر سنة ١٩١٠ قال فيه « ان نظارة المالية تشاهد بمزيد الرضا ونهاية الامتنان تلك المجهودات التي مازال يبذلها احمد بك زكي وانها توافق بتمام الارتياح على الغاية التي يسعى وراءها في سبيل تجديد الآداب العربية »

وختم سعادته كتابه بأن نظارة المالية مستعدة لان تخصص لهذا الغرض مبلغ الالف جنيه مصري المربوط في الميزانية لتشجيع الاعمال الادبية

فهذه الاريحية الكريمة تدعونا الى تدقيق البحث في الاسباب التي يكون من شأنها استمرار هذه الحركة المباركة بما يضمن ظهور آثارها بدون انقطاع

وبما انه من الضروري النظر في تدبير الوسائل التي تكفل لهذا العمل ما يقتضيه من البقاء والاستمرار، وبما أن المصنفات التي قام بها حضرة أحمد زكي بك بالفتوغرافية هي ذات قيمة عظيمة من الوجهة العلمية والتاريخية والادبية ، وبما أن معظم هذه المصنفات التي أشار اليها هي من وضع المؤلفين المصريين ولا نكاد نرى لها أثرا في البلاد التي تولدت فيها وظهرت بها

فلهذه الاسباب

اقترح على مجلس النظار تكليف نظارة المعارف العمومية بما يأتي :

أولا ـ المبادرة بدون تأخير في تدبير الوسائل التي تضمن إحياء الآداب العربية حسب البيانات التي أوضحها سعادة أحمد حشمت باشا في تقريره المؤرخ في ١١ رمضان سنة ١٣٢٨ (١٥ سبتمبر سنة ١٩١٠)

ثانيا ـ تخصيص المبلغ الاحتياطي المتكون بدار الكتب الخديوية لهذا الغرض

ثالثا ـ الابتداء في إحياء الآداب العربية بطبع ونشر الموسوعتين الكبريين المعروفتين باسم « نهاية الارب في فنون الادب » لشهاب الدين النويري و « مسالك الابصار في ممالك الامصار » لابن فضل الله العمري

رابعا ـ الاستمرار على موالاة هذه النهضة التجديدية بطبع ونشر بقية الكتب التي أشار اليها حضرة أحمد زكي بك حسب الكشف المرفق بهذه المذكرة ثم سائر المخطوطات العربية الأخرى الكثيرة الندرة العظيمة الفائدة

هذا وانني أرى من جهة أخرى ان ضمان النجاح لهذه الحركة الخصيبة يوجب على مجلس النظار أن يسهل على نظارة المعارف العمومية القيام بمهمتها بالفلاح الذي نبتغيه لهذا الاصلاح فلذلك يحسن بحكومة الجناب الخديوي المعظم أن تكلف نظارة المالية بأمرين اثنين أيضا وهما :

أولا ـ جعل مبلغ الالف جنيه تحت تصرف نظارة المعارف العمومية بصفة اعانة خصوصية لطبع الموسوعتين المذكورتين قبل

ثانيا ـ اصدار الاوامر اللازمة الى مطبعة بولاق الأهلية للاسراع في انجاز أعمال الطبع بكل ما في الامكان وأملي وطيد في أن المجلس يتكرم بالموافقة على ما أبديته من الاقتراحات ليجري العمل بانتظام وفق المرغوب فان انجاز هذا المشروع على أجمل حال مما يجمل بحسنات هذا العصر ويكون غرة في جبين الدهر تشهد بارتقاء العلوم والآداب بيمن مولانا الخديو ناشر رايات العدل ورافع اعلام العلم والفضل

رئيس مجلس النظار

القاهرة في ١٧ شوال سنة ١٣٢٨ (٢٠ اكتوبر سنة ١٩١٠) محمد سعيد

كشف

﴿ بأسماء الكتب المشار اليها في المذكرة السابقة ﴾

وهي التي ستتخذ أساساً لاحياء الآداب العربية بمصر

﴿ موسوعات ﴾

نهاية الارب في فنون الادب لشهاب الدين النويري
مسالك الابصار في ممالك الامصار لابن فضل الله العمري
جوامع العلوم لفريعين تلميذ أبي زيد أحمد بن سهل البلخي

﴿ أدب وبلاغة وانشاء ﴾

الفاخر للمفضل الضبي
ديوان الحماسة الصغرى المعروف بالوحشيات لأبي تمام
سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي
التسهيل بالتمثيل وهو المعروف بتسهيل السبيل الى تعليم الترسيل للحميدي
رسائل وخطب وأشعار السلطان الملك الناصر يوسف صلاح الدين الايوبي من جمع حفيده
مجموعة ترسل القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني

﴿ حديث ﴾

فنون العجائب
اكرام الضيف

﴿ آداب الملوك ﴾

كتاب التاج للجاحظ

محاسن الملوك

رسائل الملوك ومن يصلح للسفارة ومن أمر بارسال رسول ومن نهى عن ذلك وكيف ينبغي لمن أرسل الى ملك أن يعمل في الاحتياط لنفسه ولمن أرسله ومن ذم من الرسل ومن حمد لابي علي الحسن المعروف بابن الفراء

كتاب تنبيه الملوك (وسياساتهم في تدبير الامم والممالك)

﴿ التاريخ ﴾

كتاب المقتالين من الاشراف في الجاهلية والاسلام لمحمد بن حبيب

ذيل تجارب الامم وتعاقب الهمم في وقائع العرب والعجم لابن مسكويه تأليف أبي شجاع أحد وزراء الدولة العباسية

در ر التيجان وغرر تواريخ الزمان لابي بكر بن عبدالله بن أيبك الدواداري المصري

كنز الدرر وجامع الغرر له أيضا

﴿ التراجم ﴾

إنباه الرواة على أنباه النحاة للقاضي الاكرم الوزير القفطي

نزهة الالباب في الالقاب لابن حجر

التأليف الطاهر في شيم الملك الظاهر القائم بنصرة الحق أبي سعيد جقمق لابن عربشاه

هدية العبد القاصر الى الملك الناصر أبي السعادات محمد بن السلطان الملك الاشرف لعبد الصمد الصالحي

سبك النضار وكسب المفاخر ونثر الدر ونظم الجواهر من سيرة المقر الاشرف السيفي اقباي الاسد الظافر كافل المملكة الغزية (في أيام قايتباي) لعبد الله بن محمد بن عبد الله الزكي الغزي الحنبلي

﴿ النسب ﴾

شجرة النسب النبوي الشريف تأليف السلطان الملك الاشرف أبي النصر قانصوه الغوري

﴿ الجغرافيا ﴾

صور الاقاليم الاسلامية لابي زيد أحمد بن سهل البلخي (بالخرط)

صورة الارض وصفة أشكالها ومقدارها في الطول والعرض وأقاليم البلدان ومحل الغامر منها والعمران من جميع بلاد الاسلام بتفصيل مدنها وتقسيم ما تفرد بالاعمال المجموعة اليها (بالخرط)

هيئة أشكال الارض ومقدار صورها في الطول والعرض (بالخرط)

نزهة المشتاق في اختراق الآفاق المعروف بكتاب رجار (Roger) الشريف الادريسي (بالخرط)

﴿ رحلة ﴾

تاريخ الامير يشبك الظاهري (وهو رحلة الجنود المصرية وفتوحاتهم في آسيا الصغرى في أيام السلطان الملك الاشرف قايتباي)

﴿ علم حفظ الصحة ﴾

كال الفرحة في دفع السموم وحفظ الصحة للقوصوني الطبيب في عصر السلطان قانصوه الغوري

﴿ علوم طبيعية وميكانيكية ﴾

سرور النفس بمدارك الحواس الخمس لابن المكرم صاحب لسان العرب

الباهر في علم الحيل

الجامع بين العلم والعمل النافع في صناعة الحيل (بالاشكال والصور)

﴿ علم الحيوانات ﴾

الدر المطابق في علم السوابق (في طب الخيل وقد ظفر به ملك الارمن في خزائن العباسيين عند ما هاجمها مع التتر فنقله الى بلاده وأمر بترجمته ثم ضاعت النسخة العربية الاصلية وقد ظفر جنود مصر بالترجمة في بلاد الارمن حينما فتحوها فترجمه الى العربية ابن الخليفة العباسي بمصر بمساعدة بعض الاسرى من الارمن

طب الطيور (مستخرج من خزانة الرشيد)

﴿ علم المعادن ﴾

الجماهر في الجواهر لفيلسوف الاسلام بالهند ابي الريحان البيروني

ازهار الافكار في جواهر الاحجار للتيفاشي

﴿ علم الفلك ﴾

التفهيم لصناعة التنجيم لابي الريحان البيروني

علم الساعات والعمل بها لرضوان بن محمد الخراساني بخط بيلبك بن عبد الله القبجاقي

﴿ علم الموسيقى ﴾

كتاب العود والملاهي للمفضل الضبي

كشف الغموم والكرب بشرح آلة الطرب (بالصور والاشكال)

﴿ علم الحرب ﴾

العز والمنافع للمجاهدين بآلات البارود والمدافع لابن غانم الاندلسي (بالاشكال)

الانيق في المناجيق (بالصور والاشكال)

التذكرة الهروية في الحيل الحربية للسائح الهروي

﴿ ديانات قديمة ﴾

فلسفة الوثنيين (وهو قطعة بقيت من كتاب نسطس الذي احرقه بعضهم

وترجمها أحد المسلمين مع شرح الاناشيد والالحان الموسيقية الخاصة بديانة الوثنيين و بديانة المجوس)

كتاب الاصنام لابن الكلبي

﴿ فنون متنوعة ﴾

لطائف المعارف للنيسابوري

عين السبع مختصر طرد السبع لصلاح الصفدي

الالمام بآداب دخول الحمام

الكوكب الدري في أجوبة السلطان الغوري

نفائس المجالس السلطانية في حقائق الاسرار القرآنية لجمعية من العلماء في عصر السلطان الغوري وهو في جلستهم

الترفق في العطر للفيلسوف الكندي

كتاب الاطعمة المستعملة في مصر على عهد سلاطين المماليك

الوصلة الى الحبيب في وصف الطيبات والطيب

﴿ احياء الآداب العربية ﴾

مقتبس من التقرير المقدم الى صاحب العطوفة محمد سعيد باشا رئيس مجلس النظار

« من صاحب السعادة احمد حشمت باشا ناظر المعارف العمومية »

بتاريخ ١١ رمضان سنة ١٣٢٨ (١٥ سبتمبر سنة ١٩١٠)

رئيس مجلس النظار عطوفتلو افندم حضرتلري

تفضلتم عطوفتكم بدعوتي لدرس المذكرة المقدمة من حضرة احمد بك زكي « عن الاسباب والوسائل المؤدية لاحياء العلوم والآداب العربية بمصر » مع مجموعة الكتب التي استنسخها حضرته بالفوتغرافية واستحضرها من الآستانة وأوربا وقد امعنت النظر في هاتين المسألتين وأبدي اليوم لعطوفتكم مارأه في هذا الشأن

ان هذه المفكرة تشرح بأجلى بيان ما كان للقاهرة من التأثير في رفع منار العرفان وترقية الآداب العربية فانها بفضل مركزها وعناية أهلها أصبحت في أوائل العصور الحديثة محطا لرجال أهل العلم ومهبطا لطلاب الفضل

ولقد أشار صاحب المفكرة الى مبلغ الاريحية التي كان يجود بها ملوك مصر وسلاطينها والى مقدار المساعي المتواصلة التي بذلها رعاياهم لاعلاء شأن الحضارة الاسلامية وازدهاء رونقها في بلاد الشرق فكنت النتيجة من هذا العمل المزدوج ان ظهرت في سماء المعارف العربية كتب جليلة حافلة بالبحث في الموضوعات المفيدة في كل فن ومطلب ولكن سوء الحظ قضى بأن لا يصل الى أيدينا من تلك المصنفات الثمينة سوى النزر اليسير

ثم جاء دور الافول فكان من دواعي الانحطاط ان مصر أضاعت ذخائرها وكنوزها في أثناء التقلبات التي اصابتها والمحن التي توالت عليها مما لا فائدة من ترديد ذكراه الآن

فانطفأ ذلك السراج الوهاج وخبا ذلك الذكاء المصري بيد ان شعاعا ضئيلا من الامل تبدى في الافق فانبعث معه ذلك الذكاء من مرقده بعد ان كان الناس يظنونه قد دخل في خبر كان ولكنه في الحقيقة انما كان في سبات لا في ممات والفضل في تجدد هذه الحياة الادبية راجع الى محمد علي الكبير والى حفيده اسماعيل

لذلك توخى صاحب المفكرة ان يستفيد من هذه اليقظة الادبية فأخذ يعمل على ايجاد الوسائل اللازمة لتجديد عهد الآداب العربية في ظل خديوينا المحبوب عباس الثاني الذي تعود ان يقفو آثار اسلافه الفخام في سلوك المكارم وتجديد مفاخر المآثر

وللوصول الى هذه الغاية التي مازال ينشدها واضع المشروع قد اقترح حضرته تنظيم دار الكتب الخديوية تنظيما يشمل جميع فروع الاصلاح التي تستوجبها مكانتها لتأتي بالثمرة المطلوبة وتقوم بالخدمة الواجبة عليها

واني أوافق حضرته من هذه الوجهة موافقة تامة ولذلك شرعت فعلا في درس هذا الاصلاح درسا دقيقا لأتمكن في وقت قريب من جعل خزانة كتبنا النفيسة كفيلة بالقيام بجميع الاغراض التي انشئت لاجلها أو التي يحق لنا انتظارها

منها حتى تكون من أقوى العوامل في نشر أنوار العلوم العربية

ثم أشار صاحب المفكرة الى انه يجب ارجاع المطبعة الاهلية الى مجيد عملها السابق وذلك بطبع التآليف التي تفتخر بها علماء مصر حتى يتسنى لأهل الجيل الحاضر ان يشمروا عن ساعد الجد ويواصلوا سلسلة الابتكار في العلوم والآداب التي بدأ بها أجداده الامجاد

وقد رأى صاحب المشروع من الواجب عليه ان لايقف عند الاشارة الى نظريات مبهمة أو ابداء رغائب مجردة عن وسائل التنفيذ مما لايكون كفيلا باستكمال وسائل النجاح فلذلك افرغ وسعه وبذل جهده ولم يضن بشيء من ماله ووقته وراحته حتى تيسرت له كل الاسباب المؤدية لتحقيق الخطة التي رسمها لنفسه وذلك انه قرن العلم بالعمل وأتبع القول بالفعل فانتهز فرصة الانقلاب الذي حصل في الدولة العلية وشخص الى الآستانة وتمكن هناك من استخدام الفتوغراف في نقل جلائل المؤلفات التي تزدهي بها الآداب العربية خصوصا تلك التي كانت فيما مضى من أجمل الذخائر في الخزائن المصرية

ولم تقف همة هذا البحاثة عند حد التنقيب وتلمس تلك الآثار من كنوزها في القسطنطينية بل واصل سعيه أيضا في ربوع العلم بأوربا لاستيفاء كل المعدات ولاتمام عمله على احسن حال

هذا وقد ألم في مفكرته بايضاح وجيز الى كل واحد من هذه المصنفات النادرة فكتب نبذة قصيرة تكشف عنها اللثام وتبين الفوائد التي تعود على اللسان العربي والامة المصرية من العناية بطبعها وتعميم نشرها

وقد رأيت من الواجب أن استعلم عما اذا كان لهذه المصنفات أو لبعضها أثر ما في دار الكتب الخديوية أو في احدى مكتبتي الازهر الشريف والمجلس البلدي بالاسكندرية فوافتني هذه المعاهد الثلاثة ببيانات تسمح لي بالتصريح بأن المؤلفات التي نقلها حضرة أحمد بك زكي واستحضرها لا توجد أصلا ضمن مكاتبنا ومجاميعنا الاهلية وانها لم تطبع حتى الآن وان في طبعها نفعا عظيما للمتنورين من أبناء مصر وسائر أهل العلم على الاطلاق

ولا ريب في أن حكومة الجناب العالي الخديوي الآخذة بناصر الآداب العربية العاملة على ترويجها وتعميم الانتفاع منها ستقدر هذه الكنوز حق قدرها وتعمل على اقتنائها واضافتها الى خزانة كتبها النفيسة خصوصا وان معظمها مما جادت به قرائح البارعين من المصريين

وليس من الصواب أن يقف عمل الحكومة الخديوية عند هذا الحد من الاغتباط بالحصول على هذه المجموعة واضافتها الى دار الكتب الخديوية بل يتحتم علينا أن نبادر الى السعي في طبعها بحيث لا يمضي قليل من الزمن حتى تصبح منهلا سائغا للقاصد وموردا عذبا لكل طالب .

ونحن اذا نظرنا الى أهل الشرق والى العلماء المستشرقين في هذه الايام نراهم جميعا يتهافتون الى الوقوف على كل ما له ارتباط بالحضارة الاسلامية ولا شك عندي في أن الحظ الاوفر في هذه النهضة المباركة ينبغي أن يكون لمصر ان لم تكن هي القائدة لحركتها والمديرة لشؤونها وذلك نظرا لمركزها الطبيعي ولما كان لها من الايادي البيضاء على العلوم والآداب وبهذه المناسبة أرى من الواجب علينا أن نشكر المعاهد العلمية الغربية لما تبذله من المساعي في تأييد هذه الحركة والاخذ بناصرها . ولا غرو فان المستشرقين الذين تفتخر بهم المدارس الجامعة في بريطانيا العظمى وسائر أوربا وأمريكا لا يألون جهدا في العمل على نشر الكتب التي صنفها جهابذة العرب وبحثوا فيها عن شتى الموضوعات وأبعدها عن مجال الخواطر والاوهام . فهؤلاء المستشرقون لا يزالون يدأبون على العمل مع الصبر في التحصيل والدرس والبراعة في التنقيب والبحث . وبذلك تيسر لهم أن ينشروا طائفة كبيرة من أمهات الكتب العربية النفيسة وقد يترجمونها في بعض الاحايين الى لغاتهم أو يتخذونها موضوعا لمباحثهم كما يشاركهم قومهم في الاستفادة منها وهم بهذا المسعى يبثون فينا روح الامل باسترجاع كنوز آدابنا الشرقية رويدا رويدا ومن المؤكد أن هذا الامل لا يلبث أن يدخل في حيز الامكان ويتحقق في عالم الوجود اذا ما تعهدته مصر بالقسط الواجب عليها من المساعدة والمعاونة على إحياء العلوم والآداب العربية وقد آن للحكومة الخديوية أن تعضد العلماء المصريين وتفتح لهم مجال البحث

ليتمكنوا من الاستمرار على التنقيب والتأليف فيعيدوا في مصر عصر آبائهم و يصنعوا مثل ما صنعوا واني لعلى يقين من أنهم سيجدون في المجموعة التي توفر حضرة أحمد بك زكي على تكوينها وايجادها جميع الوسائل التي تبعث فيهم روح العمل فيخضل عود الدرس ويثمر بما يعود بالنفع العام على مصر وغيرها من أقطار الشرق

وأرى لاطراد هذه الحركة أن نبدأ منذ اليوم بطبع الموسوعتين اللتين تفتخر بهما مصر والعرب على الاطلاق وأعني بهما « نهاية الارب في فنون الادب » للنويري و « مسالك الابصار في ممالك الامصار » لابن فضل الله العمري لأن هذين الأثرين الجليلين قد انعدما من بلادنا في جملة ما أضاعتـه من الكنوز الغوالي على إثر ما انتابها من الطوارق والطوارئ

ولقد أعيى العلماء الغربيين استكمال هذين الأثرين النفيسين فلم يوفقوا الى جمع أشتات هذه الضالة المنشودة مع ما بذلوه من الجهد في كثير من الازمان حتى أتاح الله (ذلك) لأحد مواطنينا فتيسر له بعد متاعب احتملها مدة عشرين عاما واهتدى لجمع المواد والاجزاء التي يتألف منها هذان السفران واثبتها كلها بالفتوغراف فحق لنا بعد ذلك أن نهنئ أنفسنا على هذا النجاح الباهر

واذا أخذنا في طبع هاتين الموسوعتين بسعد الجناب الخديوي العالي الذي تفضل فأظهر عنايته العالية بأمرهما فلا شك أن الاقبال على اقتنائهما سيكون عاما عند جميع الطبقات وخصوصا عند الفئة المولعة بالدرس وأرباب العقول المستنيرة بمصر والشرق بل يتعداهما الى الجامعات ودور الكتب في البلاد الاجنبيـة والمستشرقين الذين يقدرونهما حق قدرهما لأنهم طالما استفادوا منهما

وعلى ذلك فاني أشير بتشكيل لجنة من أهل الدراية تختارها نظارة المعارف العمومية لتهيئة هذين السفرين للطبع ويكون من خصائصها النظر في الاصول وضبطها بالدقة قبل تسليمها المطبعة الاهليـة لان الطبع اذا ما باشرته الحكومة الخديوية بنفسها وأشرفت عليه برعايتها يجب أن يكون مستوفيا لكل أسباب الكمال ليجيء متناسبا لحاجات العلم والنقد في العصر الحاضر

وبهذه المناسبة أقول إن الضرورة والعدل يقضيان بأن تكون ادارة هذا المشروع من الوجهة الفنية موكولة الى حضرة أحمد زكي بك لواسع علمه وعظيم شهرته خصوصا وانه هو البادئ بالتفكير في هذا المشروع الخطير والمهتدي الى جمع شوارده بعد ان كانت مبعثرة هنا وهناك

ولا جرم أن طبع هاتين الموسوعتين في مطبعة بولاق سيكون جامعا لما ينبغي من الدقة والجمال خصوصا بعد أن دخل التحسين الجديد على حروفها ونظرا لما هي عليه الآن من كمال الاستعداد و بذلك تعود هذه المطبعة الى ما كان لها من المكانة السامية والأثر النافع في نشر نور العرفان العربي

وأرى أيضا مخابرة نظارة المالية لتأمر المطبعة الاهلية بتوسيع نطاق القسم الادبي حتى يتسنى له طبع ثلاث ملازم أو أربع في اليوم الواحد فذلك أمر يتحتم علينا الوصول اليه بقدر رغبتنا في تسهيل أمر الطبع حتى لا يمضي زمن طويل على ظهور هذا العمل الجسيم في حيز الوجود

ولعل سعادة ناظر المالية يسمح بتخفيض شيء من مصاريف الطبع للمعاونة على ترويج هذا العمل الادبي العميم الفائدة الذي من شأنه المساعدة على ترقية الافكار وتعميم المعارف اذ بفضل هذه المنحة يمكننا ان نزيد في عدد النسخ بغير زيادة في النفقات والاكلاف و بذلك يتسنى لنا أيضا تخفيض قيمة الاشتراكات واثمان البيع تخفيضا محسوسا يساعد على زيادة الاقبال وتسهيل اسباب الانتفاع

بقي علينا ان ننظر في تدبير المال اللازم للمشروع في هذا العمل الخطير وهو متوفر لدينا لوجود المبلغ الاحتياطي في دار الكتب الخديوية فان هذا الاحتياطي مخصص بطبيعة الحال لاحراز واستنساخ وطبع المخطوطات العربية وقد بلغ في آخر اغسطس الماضي ٩٣٩٢ جنيها مصريا ويجب الاشارة الى ان استخدام ذلك المبلغ الاحتياطي في هذا السبيل النافع سنتنتج عنه ثمرة مفيدة لدار الكتب الخديوية من الوجهة المادية المحضة فضلا عما يترتب عليه من المزايا الادبية الكثيرة

وعلى كل حال فلو فرضنا أن هذا المشروع لا يكون من ورائه مغنم مادي فان الحكومة الخديوية ينبغي لها أن تغتبط بهذا المسعى الذي يفضي الى إفاضة نور

الادب العربي في بلاد الشرق وذلك لان الجامعات في بلاد الانكليز والمطابع الاهلية في ديار أوروبا هي التي تأخذ دائما على عاتقها طبع المؤلفات الاهلية الكبيرة القيمة الواسعة الحجم ولو أدى الى ذلك خسارة مالية فادحة وذلك لقصور يد الافراد عن القيام بما تقتضيه من النفقات الجسيمة أما مشروعنا هذا فانه بعيد عن ذلك بالمرة لما فيه من المكاسب التي تدعو الى الاقدام عليه والاهتمام بشأنه

فاذا صادفت هذه الآراء والاقتراحات ما ابتغيه لها من حسن القبول لدى عطوفة الرئيس رجوته أن يسمح لي باتخاذ الوسائل اللازمة لانجاز هذ المشروع على أحسن حال لكي يزيد في شرف هذا العصر الاسعد ، المشمول بيمن خديوينا المحبوب الامجد، الحامي لواء العلم والادب ، الراغب في تقدم لسان العرب

ناظر المعارف العمومية

(أحمد حشمت)

تقريظ المطبوعات الجديدة

﴿ الهيئة والاسلام ﴾

كتاب جديد في استخراج مسائل علم الهيئة الفلكية الذي وصل اليه علماء هذا العصر من ظواهر الكتاب والسنة وأقوال [illegible] آل البيت الكرام ، وعلماء الصحابة الاعلام، عليهم السلام والرضوان [illegible] علماء النجف الاعلام (السيد هبة الله الشهرستاني) وقد صدر جزآن [illegible] في اكثر من ثلاث مئة صفحة كصفحات رسالة التوحيد وتفضل المؤلف باهدائه الينا ونحن في القسطنطينية مع كتاب مودة وتنبيه الى وجه الحاجة الى مثل هذا الكتاب في هذا العصر الذي كثر فيه المشككون في الدين بشبهات منتزعة من علم الهيئة وغيره من العلوم . وقد حالت الشواغل الكثيرة هناك وهنا دون مطالعة الكتاب التي تمكننا من بيان مزيته وتلخيص شيء من فوائده

فرأينا أن نكتفي الآن بذكر بعض مسائله المهمة من الفهرس وسننقل في جزء آخر نموذجا منه للقراء ان شاء الله تعالى

المسألة الاولى حقيقة الفلك توافق النصوص فيها ما عليه المتأخرون وتخالف ما كان عليه اليونانيون ، (المسألة ٢) شكل الارض وحاملها (٣) حركة الارض . (٤) تعدد الارضين . (٥) في أن السيارات تسع فكيف تكون الارضون سبعا ، (٦ و ٧) في حقيقة السموات السبع والارضين وترتيبها (٨) مركزية الشمس لحركة السيارات . المسألة التاسعة الصفات الخمس لجرم الشمس ، (١٠) في أوصاف القمر (١١) عدد السيارات (١٢) في سكنى السيارات (١٣) المذنبات والشهب (٧٤) في تعدد العوالم . يذكر المؤلف في كل مسألة أقوال علماء الهيئة وما ورد بعضها في الكتاب أو السنة أو كلام الائمة أو الصحابة رضي الله عنهم

﴿ منطق المشرقيين ﴾

هو آخر ما ألفه الشيخ الرئيس ابو علي بن سينا في فن المنطق فهو زبدة التحقيق هنده لهذا العلم وقد قال فيه « وما جمعنا هذا الكتاب لنظهره الا لانفسنا أعني الذين يقومون منا مقام أنفسنا ، وأما العامة من مزاولي هذا الشأن فقد أعطيناهم في منطق الشفاء ما هو كثير لهم وفوق حاجتهم » وقد طبعه في هذا العام صاحبا المكتبة السلفية بمصر وطبعا معه القصيدة المزدوجة في المنطق للشيخ الرئيس أيضا . وطبعا في مقدمته ترجمة طويلة للمؤلف وهو يطلب من مكتبتها ومن مكتبة المنار بمصر وثمنه أربعة قروش صحيحة

﴿ منتخبات البارودي ﴾

ان قوى النفس ، كقوى الحس ، تضعف وتقوى ، وتمرض وتشفى ، وتهبط وترقى بل تموت وتحيا ، وانما حياتها وارتقاؤها برقة الشعور والوجدان ، ودقة التوسم والادراك ، يدرك حديد البصر من معارف وجه محدثة ولو على بعد ، ما لا يدركه الكليل على القرب ، ويستشف من توسم مايعرض لها من التأثير ، ماتنقطع دونه اشعة بصر الحسير ، فهذا يعيا عن إدراك دقائق معارف الوجه ، وحركات الطرف ، فلا يعرف

امامه الا شبحا ماثلا ، وهيكلا شاخصا ، وذلك يدرك ماوراء هذه المعارف من آثار الخطاب في نفس المخاطب ، فيميز بين ماعرف منه وما أنكر ، وما أحب وما كره ،
يتوسم فيه فيوحي اليه ذلك انبساط الاسارير وانقباضها ، ولمانها واقتامها ، واحرار البشرة واصفرارها ، وتخاوص العينين وجحوظهما، وترنيقهما ورنوهما، وحركتهما وسجوهما، وتصويبهما وتصعيدهما، وسائر ضروب النظر، كالحدج والشزر ، والشخوص والشفن، فلكل نظر أثر باعث من نفس الناظر، وأثر حادث في نفس المنظور اليه ، فمن لايوثر بنظر عينيه ، ولا توثر فيه نظرات العيون ، فجدير بهان يعد من الاموات لا من الاحياء ، أو من مرضى النفوس لا الاصحاء ،
في القرآن العزيز آيات كثيرة في تأثير النظر ، وأحوال البصر ، كقوله تعالى « وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم » وقوله « فاذا برق البصر » وقوله « تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت » وللشعراء في ذلك رقائق هي المظهر الأعلى لدقائق صناعتهم كقول الكيواني

وانظر اليَّ مرنقا حتى أغيب عن الشعور

وقول علية بنت المهدي

ورابني منه اني لا أزال أرى في طرفه قصرا عني اذا نظرا

وقول أبي نواس حكاية

ويعمل الطرف نحوي ان مررت به حتى ليخجلني من حدة النظر

والشعر في هذا المعنى كثير يدخل في فنون شتى
وان من كان سميعا خبيرا بأنواع الاصوات ، وضروب اللهجات ، ودلالة كل جرس ، على كيفية خاصة في النفس ، وما في لحن القول وفحواه ، من إيماء الى غير ما يدل عليه مبناه ، ليسمع مع الكلام ما كان باعثا عليه من نفس المتكلم ، وما ينثني عليه صدره ، وينطوي عليه قلبه ، من حب و بغض ، ووفاء وغدر ، وأمن وخوف، ورضى وكره ، قال تعالى « ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول » أي فحواه ومعاريضه ، ومن أعجب الكلام الي في استخراج خبايا السرائر من كيفية أداء القول، وجرس اللفظ ، قول امرأة كعب ابن الأشرف

له عند ما دعاه في الليل الذين يريدون قتله ، مظهر بن الالتجاء الى حصنه ، وقد نهته عن الخروج اليهم « اني اسمع صوتا يقطر منه الدم »

ان دقة الادراك ، ودقة الشعور والاحساس ، هما آيتا ارتقاء النفس في درجات الكمال الانساني، ويرى الحكماء، ان مظهر هذا الارتقاء، يكون في ثلاثة أشياء ، الشعر والتصوير والموسيقى، وهي التي يعبرون عنها بالفنون الجميلة، فالتصوير هو الاشعار بالاشياء برسمها في الالواح والصحف ، والشعر هو تصوير الاشياء بالقول ، ومنتهى الكمال فيهما ان لا يفوت صاحبهما شيء من دقائق الصورة الظاهرة، ولا من دقائق أنواع الشعور الباطنة ،

لولا أن كانت العرب على حظ عظيم من الارتقاء في الشعر لما انتشر فيهم الاصلاح الاسلامي بتلك السرعة ثم رقى بهم في معارج المدنية حتى صاروا الاساتذة المصلحين لجميع الامم ، ذلك بأن الابداع في الشعر قد أعلى مداركهم، وأودع في طباعهم الرقة ، وقبول التأثير بالمؤثرات الشريفة ، فالشعر هو ديوان حكمتهم ، وكتاب تاريخهم ، ودفتر آدابهم ، وقد ارتقى بلغتهم الواسعة وارتقت هي به ، حتى انك لتجد فيها من الدقائق ما يسلس لك زمام التعبير عن كل محسوس ومعقول ، فتربية الخيال الشعري فيها أكبر معين على ترقيتها ، وما مرضت آدابنا ، الا بما طرأ علينا من الجهل بلغتنا وآدابها وأشعارها ، حتى صار يعسر على أخطب الخطباء وأشعر الشعراء أن يحفز همم الجمهور منا الى دفع خطر نحذره ، أو المبادرة الى خير عام نرجوه ،

أفسدنا لغتنا فأفسدنا نفوسنا، فضعف ذوقها واعتل وجدانها ، وضعف تأثيرها وتأثرها ، ولم نستعض عما فقدناه من رقائق الشعر بالبراعة في الموسيقى ولا التصوير وان أقرب الوسائل الى اصلاح ذوق آخرنا ، هي الوسيلة التي صلح بها ذوق أولئك ألا وهي الشعر الذي لا ترتقي آداب اللغة وذوق أهلها الا بارتقائه ، أعني ان يكون كل عربي شاعرا ، وان لم يكن ناظما ، وانما الشاعر من يشعر بدقائق المعاني ، في صورها من المباني ، ويبلغ بالكلام مايبلغه الكلام منه ، اذا أصاب موقع الوجدان من النفس ، والاقناع من العقل ،

جعل الادباء شعراءنا أزواجا ثلاثة الجاهليين والمخضرمين الذين أدركوا الاسلام منهم والمولدين ، ولكل منهم أسلوب وفنون من المعاني تختلف باختلاف

الحال الاجتماعية التي عاشوا فيها ، وقد جمعت الدواوين المشهورين الذين منهم حفظت أشعارهم فوصل الينا بعضها دون بعض ، وأتى علينا حين من الدهر لا يبالي جاهير المتعلمين منا بالموجود ، ولايبحثون عن المفقود ، حتى كانت النهضة الادبية العلمية الحاضرة وطفق الناس ينشرون آثار السلف ، كما ينشدون ماجدده الخلف ، حتى أثروا بما لديهم من كسب وميراث ، فتكاثرت الظباء على خراش ، وضاقت الاوقات عن النظر في كل ما ينشر ، واشتدت الحاجة الى اختيار أحسن ما يروى منه ويؤثر ،

عندنا شيء من مختار أشعار الجاهليين (كديوان الحماسة لأبي تمام) وقد وفق الله تعالى نابغة هذا العصر ، وامام أهله في الأدب والشعر ، محمود سامي باشا البارودي الشهير ، لجمع ما اختاره من اشعار ثلاثين شاعرا من فحول المولدين في الادب والمديح والرثاء والصفات والنسيب والهجاء والزهد ، ورتبها في كل باب على حروف المعجم ، ووضع لها هوامش في تفسير بعض الغريب والمبهم ، فكان ذلك أربعة أسفار كبار ، جديرة بأن تكون ندامى الكبار وأساتذة الصغار ،

فأما الشعراء الذين اختار أحاسن أشعارهم ، ومثل لنا بدائع خيالاتهم وأفكارهم ، فهم فرسان البلاغة السابقون ، وفحول الشعر المقرمون ، وأساتذته المقدمون ، كبشار وأبي نواس وأبي العتاهية ومسلم بن الوليد وأبي تمام والبحتري وابن الرومي وابن المعتز والمتنبي والشريف الرضي والمعري والديلمي والتهامي والخفاجي والطغرائي الخ

وأما ذلك المنتخب فهو صاحب الأدب الرائع ، والذوق السليم ، والنقد الصحيح ، الذي جرى مع أولئك الفرسان في كل حلبة ، وضرب معهم بكل سهم ، وعارضهم في كل ضرب من ضروب الشعر ، وقد طبعت بمطبعة الجريدة بحرف جديد على ورق جيد ، فكان حسن طبعها ، لائقا بحسن وضعها ، كما تجلى غواني العرائس بمعارضها ، اوكا تتجلى الشجعان بسابغاتها وأسلحتها ، فكان ذلك مما يبعث النشاط في قرائها ، وصححها كاتب يد منتخبها (الشيخ ياقوت المرسي) أحد علماء الأزهر ،

فأجدر بهذه المختارات أن تكون ذكرى حبيب ، ومدد أديب ، ودرسا لطالب البلاغة والأدب ، وعونا على إحياء آداب لغة العرب

﴿ حل مشكلة اليمن وسائر جزيرة العرب ﴾

إن أقصى أمانينا أن تكون الدولة العلية أقوى دول الأرض بأسا ، ومملكتها أوسع الممالك عمرانا ، وشعوبها أشد الشعوب اتحادا ، ولا شيء أعز علينا من دولتنا الا ديننا ، ولا قوام لديننا الا بلغته ، فلهذا كثر الكلام في مثل سورية من بلاد الحضارة العربية بالمسألة العربية وقد صدق ذلك الكاتب التركي الذي كتب الى جريدة طنين انه ليس في سورية مسألة ترك وعرب انما فيها مسألة عربية وتركية، فأهم ما يطلبه العرب أهل الحضارة من الدولة هو المحافظة على اللغة العربية وترقيتها بجعلها إجبارية في جميع مدارسها الرسمية وتسهيل طريق تعليمها في المدارس الدينية والأهلية

وأما من تغلب عليهم البداوة من العرب كأهل اليمن ونجد وخليج فارس وبوادي العراق وما بين النهرين فتتمنى ان يدخلوا في الاتحاد العثماني كافة وترتقي بلادهم في ظل الدولة ، ولكننا نعتقد أن هذا الاتحاد يستحيل ان يكون بالقوة العسكرية القاهرة، كما يرتأي المغرورون بالعاصمة، وان إبادتهم أسهل من اخضاعهم بالقوة لشعب لا يعدونه منهم ، ولا يحترم حالهم الروحية والاجتماعية، وانما يسهل إخضاعهم بالاسلام والحكمة، فلهذا اقترحت على الحكومة الدستورية مساعدة جمعية من فضلاء الامة على تأسيس مدرسة لتخريج المرشدين الذين يسهلون لها هذه السبيل في جزيرة العرب وبلاد الاكراد والارنؤد

ان جزيرة العرب لم تر الدولة العلية حاكمة فيها الا في بعض البلاد الساحلية وليس لها عند القوم هنالك أثر حسن ولا ذكر صالح في شيء من الاشياء وانما يوجد في اليمن والعراق آثار الخراب والدمار وتواريخ الغدر وسفك الدماء ونهب الاموال ويعرف منهم هذا جيرانهم ، وهم لا يفرقون بين نوع الحكم الاستبدادي الماضي والحكم الدستوري الذي وقفت الدولة ببابه الآن فلا ينتظرون منها الامثل الايام التي خلت من قبل ومع هذا كله فانني أعتقد انه يمكن وضع قانون لاصلاح جزيرة العرب يكون من أوائل مواده ان هذه البلاد كلها تابعة للدولة العلية وليس لأحد من أمرائها ولا زعمائها حق في معاملة دولة من الدول الأجنبية معاملة ما لا تأذن لها بها قوانين الدولة، وأن تدفع للدولة أموالا أميرية ، وأن تقر الدولة إمام اليمن على إمامته

في طائفته، وكذا كل أمير وزعيم على إمارته ، بأن يكون هو المنفذ للنظام الداخلي فيها ، وأن يترك لهم سلاحهم و يحتم عليهم حفظ الأمن في هذه البلاد وتكافل الأمراء والزعماء على منع الغزو ومساعدة الدولة على نشر التعليم وتحضير الأعراب وتتبع ذلك الجندية

اذا وفقت الدولة لمثل هذا العمل فانها تملك جزيرة العرب ملكا حقيقيا من غير سفك دماء أبنائها ، ولا إضاعة الملايين من الليرات التي تأخذها من أور باالربا الفاحش والذل ، وتفتح لنفسها بابا واسعا من الثروة ، وان أبت الا التعجيل بازالة نفوذ كل ذي نفوذ بالقوة العسكرية فانني أخشى ان يكون الخطر عليها من هذه السياسة من أشد الاخطار لانها تكون سياسة سفك دماء وتدمير بلاد، وتمزيق القوة العسكرية في بلاد لايمكنها البقاء فيها ، وماوراء ذلك الاالعذاب الواصب، أواستيلاء الأجانب

﴿ جمعية ندوة العلماء في الهند ﴾

كنا فرحين مغبوطين بفضل الله على المسلمين بتأليف هذه الجمعية وخدمتها العالية للاسلام والمسلمين حتى جاءتنا جرائد الهند الاخيرة بأحزن قلو بنا وأبكى عيوننا من وقوع الشقاق بين العلماء المؤلفين لهذه الجمعية، فأواه ، الى متى يفتك في هذه الامة الحسد والخلاف

الفضل الا كبر في تأليف الجمعية ونجاحها للشيخ شبلي النعماني فهو العالم المصلح الذي تشهد له تصانيفه وآثاره، فبسعيه وجدت، وبهمته ثبتت واستقرت، ووثقت بها الأمة فأمدتها، والحكومة فساعدتها، وقد حسده على ما آتاه الله من فضله بعض العلماء الذين أعوزهم مثل علمه وعقله، وأعياهم مثل عمله وسعيه ، فلجأوا الى السلاح الذي أهلك هذه الامة وهو الخلاف الذي يكبره و يمده الحسد والبغي «وما اختلف فيه الاالذين أوتوه من بعدما جاءهم البينات بغيا بينهم» فاتهموه بالاعتزال وترك الصلاة، كما اتهم من قبل المصلحان العظيمان في هذه البلاد، وقاوموه فيما يتوخاه من تسهيل أساليب التعليم الاسلامي كما قاوم امثالهم امثاله من المصلحين ، منتصرين للكتب المعقدة التي ألفوها،

هذا مجمل ما بلغنا من أمر هذه الجمعية فنسأل الله تعالى أن ينزع ما في قلوب الحاسدين من غل ، ويطهرهم من الحسد والبغي ، فيتذكروا أن في الخلاف والتفرق الهلاك ، وفي التآلف والتعاون النجاة والسعادة، فحسب هذه الامة مافعل فيها الخلاف من إضعافها وتمزيقها وإزالة عزها وسلطانها، الى متى الى متى، انما يتذكر أولو الالباب

خاتمة السنة الثالثة عشرة

تمت السنة الثالثة عشرة للمنار بحمدالله وتوفيقه وقد كتبنا ثلاثة أرباع هذا المجلد في القسطنطينية تارة في فنادقها وتارة في المراكب البخارية التي تجول في زقاقها (البوسفور) ولم يتيسر لنا تصحيح أكثر ما كتبناه فكان الغلط فيه كثيرا وقدوضعنا جداول للمهم مما عثرنا عليه منه ونشرناه في الاجزاء الماضية، ولشقيقينا السيد صالح والسيد حسين مافي الاجزاء الثمانية الاولى من التقاريظ وقدذيل كل منهما ما كتبه بامضائه. وهما اللذان اختارا بعض الرسائل التي جاءت المنار وأوردت في بعض الصحف. ولهما بعض الهوامش كالتعريف بأصحاب الرسائل أوالقصائد التي نشرت في تلك الاجزاء وكتفسير بعض الالفاظ وخبران في آخر ص٣٩٢ كتب هذا باسم المنار، وتنبيه في آخر ص٦٩٦ نشر خطأ ولا حاجة اليه

أما الانتقاد على المنار فلم يرد الينا شيء منه على شرطنا في هذا العام الا ذكرناه وبيناما عندنا فيه فمن أرسل شيئا من ذلك ولم يره فليذكرنا به أو ليعده الينا لعله فقد أوأهملت ادارة المجلة إرساله الينا ونحن في سفرنا. وندعو أهل العلم والاخلاص الى تعاهدنا بالانتقاد والنصيحة عندما يجدون مايوجب ذلك، ونحن على وعدنا بنشر تقدم، فمن عاب المنار أوخطأه ولم يكتب ذلك اليه فهو فاسق مغتاب، لاقاصد لبيان الحق والصواب،

وأما المشتركون فالماطلون منهم كانوا أشد مطلا وأقل وفاء في هذه السنة التي غبنا أكثر شهورها وقد انتدب أحد الانجاد الامجاد في تونس لتحصيل حقوق المنار من المشتركين والحق ان الكثيرين منهم ومن غيرهم بعض العذر بما ألفوا وتعودوا من عدم دفع المال، الا بالالحاح في السؤال، ونحن قد اكرمناهم ان نلح عليهم، ووكلنا الامر الى مروءتهم، وما كل أحد يخطر بباله هذا فالتقصير منا أكثر، واللوم علينا أكبر،

وفي الختام نسأل الله تعالى دوام التوفيق والاخلاص وله الامر من قبل ومن بعد، وصلاة وسلام على المرسلين، وتحية ورضوان على المصلحين، والحمد لله رب العالمين

منشئ المنار ومحرره

محمد رشيد رضا